وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتوريحي
فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

تخصص: ماستر أدب عربي حديث ومعاصر

الجهود الأدبية للدكتور محمد بشير بويجرة

دراسة تحليلة وصفية

إعداد الطالب:
زاوي عبد العزيز

إشراف الأستاذ:
د.بخوش مفتاح

الموسم الجامعي 2024/2023

إهداء

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور اذا نجحت، ولا باليأس اذا أخفقت، وذكرني أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح، فكل الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى

إلى من جاهدت وصبرت وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء أمي الغالية حفظها الله ورعاها

الى من أضاء لي طريق العلم وساندني في الحياة أبي الحبيب حفظه الله ورعاه

إلى من تطلعت الى نجاحاتي بنظرات الأمل وكانت لي خير معين أختي حنان

إلى كل إخوتي وأخواتي حفظهم الله ورعاهم .

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الذي وفقنا في انجاز هذا البحث المتواضع وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

أتقدم بكل عبارات الشكر والتقدير والامتنان الخالص الى الاستاذ المشرف" مفتاح بخوش" الذي أعانني على انجاز هذا البحث ولم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه ومعلوماته القيمة، فبارك الله في استاذنا وجزاه الله كل خير وله مني كل التقدير والاحترام

وأتقدم بالشكر إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات وخاصة أساتذة قسم الأدب العربي

مستخلص:

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة استخراج الجهود الأدبية للدكتور محمد بشير بويجرة فاعتمدت في مذكرتي على المنهج التحليلي الوصفي وكانت خطة بحثي مكونة من مقدمة حول الموضوع وفصل مدخلي وثلاث فصول رئيسية، في الفصل المدخلي تحدثت عن الخلفيات التاريخية والثقافية المؤثرة في نشأة الأديب محمد بشير بويجرة، ثم تطرقت إلى ذكر السجل الحياتي لهذا الأديب(نشأته، مساره العلمي، الجوائز التي حصل عليها.....).

أما الفصل الأول من مذكرتي فهو يحمل عنوان "البشير بويجرة والنزعة التاريخية في تحقيق الأدبية "قراءة في كتاب الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث" ثم انتقلت للفصل الثاني الذي عنوته "من العمق الأميري إلى الأعماق الموازية" (رحلة بويجرة في قراءة حيثيات الجوار الصحراوي)" قراءة في كتاب محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع" " قراءة في أوديسة الصحراء(تلك المحبة)" ثم انتقلت إلى الفصل الثالث الذي يحمل عنوان من سحر الجوار إلى سحر السرد عودة بويجرة إلى الحاصر الباحث عن التأسيس "قراءة في كتاب بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري(1970 -1986).

الكلمات المفتاحية: محمد بشير بويجرة- الشعر العربي الحديث – فضاء الجغرافيا- الرواية الجزائرية.

Abstract :

Through this study, I tried to extract the literary efforts of Dr. Muhammad Bachir Bouijra. In my memorandum, I relied on the descriptive analytical method. My research plan consisted of an introduction to the topic, an introduction chapter, and three main chapters. In the introduction chapter, I talked about the historical and cultural backgrounds affecting the development of the writer Muhammad Bashir Bouijra. Then I touched on the life record of this writer (his upbringing, his academic path, the awards he received.(……

As for the first chapter of my memoir, it is titled “Bashir Bouijra and the Historical Tendency in Literary Investigation” A Reading of the Book of Emir Abdelkader, Pioneer of Modern Arabic Poetry. Then I moved to the second chapter, which I titled “From the Emiral Depth to the Parallel Depths” (Buijra’s journey in reading the aspects of the Saharan neighborhood “A reading in the book The Ordeal of Interpretation, The Momentum of Reference and the Temptation of Impact” “A Reading in the Desert Odyssey (That Love)” Then I moved to the third chapter, which bears the title From the Magic of Neighborhood to the Magic of Narration The Return of Bouijra to the Besieged Searching for Foundation “A Reading in the book The Structure of Time in The Algerian novelist discourse (1970-1986)

Abstrait :

A travers cette étude, j'ai essayé d'extraire les efforts littéraires du Dr Muhammad Bachir Bouijra. Dans mon mémorandum, je me suis appuyé sur la méthode d'analyse descriptive. Mon plan de recherche comprenait une introduction au sujet, un chapitre d'introduction et trois chapitres principaux. Dans le chapitre d'introduction, j'ai parlé des contextes historiques et culturels ayant influencé le développement de l'écrivain Muhammad Bashir Bouijra. J'ai ensuite évoqué le parcours de vie de cet écrivain (son éducation, son parcours académique, les récompenses qu'il a reçues..... .).

Quant au premier chapitre de mes mémoires, il s'intitule « Béchir Bouijra et la tendance historique dans la recherche littéraire ». Lecture du livre de l'émir Abdelkader, pionnier de la poésie arabe moderne. Puis je suis passé au deuxième chapitre, que j'ai intitulé « . De la profondeur émirale aux profondeurs parallèles » (le parcours de Buijra dans la lecture des aspects du quartier saharien « Une lecture dans le livre L'épreuve de l'interprétation, l'élan de la référence et la tentation de l'impact » « Une lecture dans l'Odyssée du désert (Cela Amour) » Puis je suis passé au troisième chapitre, qui porte le titre De la magie du quartier à la magie de la narration Le retour de Bouijra aux assiégés en quête de fondation « Une lecture dans l'ouvrage La structure du temps dans le discours du romancier algérien. (1970-1986).

الفهرس

الفهرس أ

مقدمة ج

مدخل محمد البشير بويجرة أديبا - 9 -

أولا : الخلفيات التاريخية والثقافية المؤثرة في نشأة الأديب محمد البشير بويجرة - 10 -

1 الخلفية الجغرافية للنشأة والمنشأ - 10 -

أ. وهران - 10 -

ب. معسكر - 10 -

2. الخلفية التاريخية للنشأة والمنشأ - 11 -

أ. وهران - 11 -

ب. معسكر - 12 -

3. الخلفية العلمية - 14 -

أ. وهران - 14 -

ب معسكر - 16 -

4. خاتمة - 22 -

ثانيا: السجل الحياتي للدكتور محمد بويجرة - 22 -

1. المولد والنشأة - 22 -

2. المسار العلمي والتعليمي: - 23 -

3: محمد البشر بويجرة بين المنجز العلمي والأدبي : - 25 -

أ. المنجز الوظيفي - 25 -

ب. المنجز العلمي : - 26 -

ت. المنجز الإعلامي والثقافي : - 27 -

4: الجوائز والتكريمات : - 27 -

الفصل الأول:

البشير بويجرة والنزعة التاريخية في تحقيق الأدبية

قراءة في كتاب الامير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث - 29 -

أولا: : جدلية الغبن والمبتغى الجمالي - 30 -

1. الأوضاع العامة التي أحاطت بنشأة الأمير عبد القادر - 30 -

أ. المستوي السياسي: - 30 -

ب. المستوى الثقافي : - 31 -

ت. المستوى الاقتصادي : - 33 -

ج. المستوى العسكري : - 34 -

2 . البيئة ..التعلم وترسيمات شخصية الأمير : - 34 -
ثانيا . المبايعة بين القساوة والمفاجأة - 35 -
1 . المبايعة تأسيس الكينونة ومفاجأة المأساوي : - 35 -
أ . المفاجأة : - 36 -
ب . صغر السن /حداثة العمر بالحياة : - 36 -
ت . مجموعة الخصال والالتزامات : - 37 -
2 . رهانات المبايعة ' إكراهات الحرب والبحث عن كوة الشعر : - 37 -
3 . الشعر معطى إيديولوجيا ... للتعبير عن هموم الذات : - 38 -
ثالثا: التجلي الشعري وأبعاد التجاوز . - 38 -
1 . شبقية المضمون وهاجس المعاينة : - 39 -
أ . الفخر : - 39 -
ب . الغزل : - 39 -
2 . المجاملات والمعاملات : - 40 -
3 . التصوف : - 41 -
رابعا: : الوعي باستراتيجية النص الشعري أو بوادر الريادة - 42 -
1 . التعبير عن المعاش وعن التجربة : - 42 -
2 . التأسيس لفكرة البطل الإشكالي : - 43 -
3 . التأسيس لفكرة وجود الأديان والحضارات : - 44 -
4 . احتفاء البعد الاستراتيجي على تيمات الشعرية العربية : - 45 -
5 . الريف والمدينة ' جذور المفارقة : - 46 -
خامسا: إحياء حداثة ومعاصرة رسم لمعالم المستقبل في شعرية الأمير : - 47 -
1 . إحياء حداثة ومعاصرة رسم العالم ومعاصرة : - 47 -
أ . رسم لمعلم كينونة الذات : - 47 -
ب . حوار الحضارات والاديان : - 48 -
ت . قيمة الريف والمدينة: - 49 -
2 . الحداثة والمعاصرة : بين عبد القادر والبارودي ؟ - 50 -

الفصل الثاني :

من العمق ألأميري إلى الأعماق الموازية رحلة بويجرة في قراءة حيثيات الجوار الصحراوي

قراءة في كتاب محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع ِقراءة في وديسا الصحراء " تلك المحبة " - 52 -

أولا: المتناص والنصية - 53 -
ثانيا: الفضاء الكاتب أو هيمنة الجغرافيا - 55 -
ثالثا: ثراء الذاكرة أم عبقرية "تلك المحبة " - 56 -
رابعا: : هوية المحبة ومقصدية الإغواء : - 58 -
خامسا: : عجائبية الحكي أو سحرية الواقع - 59 -
سادسا: وله اللغة وفتنة الكهنوت - 60 -
1 ـ على مستوى المبدع : - 60 -
2 ـ على مستوى النص : - 62 -
الفصل الثالث:
من سحر الجوار إلى سحر السرد .. عودة بويجرة إلى الحاضر الباحث عن التأسيس
قراءة في كتاب بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970 إلى 1986 - 66 -
أولا: العلاقة الجدلية بين البنيتين الزمنية والاجتماعية : - 67 -
ثانيا: الروائي بيت التوفيق والإنبهار : - 70 -
ثالثا: النص الروائي مسيرة وتجربة - 74 -
رابعا: الزمن الخارجي بين الجبر والاختيار - 77 -
خامسا: زمن الخلق ورغبة التطهير - 80 -
سادسا: الزمن الداخلي بين خيرة المبدع وثقافته - 83 -
خاتمة - 88 -
المصادر والمراجع - 91 -
المصادر رئيسية - 92 -
المصادر ثانوية - 92 -
مقالات - 93 -
جرائد - 93 -
رسائل جامعية - 93 -

مقدمة

عرفت الجزائر العديد من الأدباء والعلماء والنقاد عبر حقب زمنية متباينة، وقد كان لهم الدور الفعال في نشر مختلف العلوم والآداب في شتى مجالات العلم والمعرفة، وذلك من خلال مؤلفاتهم ومدوناتهم التي أصبحت مفيدة لطلبة العلم في مختلف التخصصات

ومن هؤلاء الأدباء والنقاد والكتاب نخص بالذكر "الدكتور محمد بشير بويجرة " الذي يعد من أهم أعلام النقد الأدبي الذين قدموا الكثير للبحث العلمي، بغية إبراز الأدب الجزائري والتراث في شقها الإبداعي وكذا التعريف بالأعمال والشخصيات الأدبية التي أثرت المشهد الثقافي .

يعد محمد بشير بويجرة كاتبا و أديبا وباحثا في التاريخ والذاكرة وناقدا في الأدب، فضل أن يكتب للتاريخ والوطن معتزا بالانتماء الذي يحرك فيه الوطنية والوفاء والإخلاص للوطن، وقد اشتهر الدكتور بإنتاجه الغزير للكتب ومن أهمها " الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث " وكتاب " محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع "

وسأحاول من خلال عملي هذا دراسة هذه الكتب لاستخراج واستنباط أهم الجهود الأدبية للكاتب محمد بشير بويجرة .

وتمحورت إشكالية بحثي حول :

ما هي الجهود الأدبية للدكتور محمد بشير بويجرة من خلال بعض مؤلفاته ؟

وسأحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال مجموعة من التساؤلات وتمثلت في : ماهي الخلفيات التاريخية والثقافية المؤثرة في نشأة الأديب محمد البشر بويجرة؟

وكيف برزت النزعة التاريخية لتحقيق الأدبية عند الأديب بويجرة من خلال كتاب "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث"

وكيف كانت رحلة الدكتور بويجرة في قراءة حيثيات الجوار الصحراوي ؟ وماهي أهم المؤثرات العامة في بنيتي الزمن والنص الروائي من خلال مؤلفه بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري(1970 1986)؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدت على المنهجين التحليلي الوصفي والتاريخي نظرا لطبيعة الموضوع .

واتبعت بذلك الخطة التالية: مقدمة ومدخل عام وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق ، فأشرت في المقدمة إلى نظرة عامة حول الموضوع وتطرقت في المدخل العام الذي عنونته ب محمد البشر بويجرة أديبا إلى الخلفيات التاريخية والثقافية المؤثرة في نشأته وسجله الحياتي وخصصت الفصل الاول للحديث عن النزعة التاريخية في تحقيق الأدبية للكاتب بويجرة من خلال دراستي لكتاب "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث "أما الفصل الثاني فتطرقت فيه إلى رحلة بويجرة في قراءة حيثيات الجوارالصحراوي (دراسة في كتاب محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع قراءة في أوديسا الصحراء" تلك المحبة")

وفي الفصل الثالث تحدثت عن أهم المؤثرات العامة في بنيتي الزمن والنص الروائي (قراءة في كتاب بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970 1986)

وأتممت البحث بخاتمة توصلت فيها لعدة نتائج بالإضافة إلى بعض الملاحق التي تخدم الموضوع وفي الأخير وضحت قائمة المصادر والمراجع .

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع هو توجيه الأستاذ المشرف " بخوش مفتاح " الذي شجعني على اختيار هذا الموضوع باعتباره موضوع لم يسبق دراسته من قبل، والهدف من هذا الاختيار هو رغبتي في إثراء البحث العلمي من خلال دراسة شخصية محمد بشير بويجرة، والتعرف على أهم ما جاء في بعض مؤلفاته بغية إبراز جهوده الأدبية .

وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المراجع والمصادر أهمها :

1 - المصادر : نخص بالذكر هذين الكتابين

- الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث

- بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970 - 1980) ج 1

2 - المراجع

أما المراجع فقد اعتمدت على مجموعة من الدراسات السابقة أذكر منها : كتاب" معسكر عبر التاريخ" للمؤلف عدة بن داهة، وكتاب "مدينة وهران عبر التاريخ " للمؤلف يحي بوعزيز

ورغم المجهودات التي بذلتها لإنجاز هذا البحث إلا أنني واجهت مجموعة من الصعوبات أهمها :

صعوبة إلمامي بالموضوع نظرا لضيق الوقت فقط تطرقت إلى ثلاثة كتب رغم أن محمد بشير بويجرة يمتلك عده مؤلفات أخرى لم أتطرق إليها ككتاب " جدلية العبقرية والمعاصرة عند صاحب الإمارة " وكتاب " الأنا، الآخر" .

وفي ختام هذه الدراسة أتقدم بالشكر للأستاذ المشرف "مفتاح بخوش " الذي وفر لي بعض كتب الدكتور بويجرة ولكل ما قدمه لي من جهد وافر في تقويم هذا العمل وتعديله إلى أن أخرج بهذه الصورة .

مدخل

محمد البشير بويجرة أديبا

أولا : الخلفيات التاريخية والثقافية المؤثرة في نشأة الأديب محمد البشير بويجرة

1 الخلفية الجغرافية للنشأة والمنشأ

أ. وهران

تقع مدينة وهران في الشمال الغربي من الجزائر تطل شمالا على الخليج المسمى باسمها بالبحر الأبيض المتوسط والذي يحده رأس المرسى الكبير غربا ورأس كريشتل(قصطيلية) شرقا أما من الغرب فيحدها جبل مرجاجو وهضبة مولاي عبد القادر ومن الشرق الجروف الصخرية ومن الجنوب السبخة الكبرى، أما فلكيا فتقع وهران بين خط عرض (35.41° و35، 69°) وبين خط طول (0.37° و0.63°)، وهي بذلك تقع في منطقة معتدلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط [1]

وتتميز مدينة وهران بموقع استراتيجي هام فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة ولا تبعد عن شبه جزيرة إيبيريا كثيرا إضافة الى أنها تعتبر منفذا حضاريا هاما سواءا غربا أو شرقا أو شمالا [2]

ب. معسكر

تقع مدينة معسكر بالإقليم الشمالي الغربي على السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس الخصب بالقسم الغربي للجبال بني شقران وتحتل كل من هضبة مأمونية وسهل غريس المنخفض حتى المناطق الملازمة لجبال سعيدة جنوبا والتي هي جزء من الأطلس الثاني ترتفع

[1] علي بوتشيشة، مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين، قسم العلوم الاجتماعية، العدد 19، جانفي 2018، ص 209..

[2] أغنية البشر مدينة وهران النشأة والتطور والدور في العصر الوسيط، مجلة المعارض مجلة المعارف للبحوث العلمية والدراسات، المجلد 7، العدد 2 أكتوبر 2021 ص و263 .

عن صحراء البحر بحوالي 585 مترا، وتمر بوسطها أودية هامة مثل وادي تودمان، ووادي عين السلطان الذي يعد الممول الرئيسي للمدينة بالماء الشروب[1] .

وتبعد مدينة معسكر عن وهران الواقعة في الشمال الغربي ب بنحو 98 كلم، وعن مدينة سعيدة الواقعة جنوبا بنحو 76 كلم وعن مدينة أرزيو ب 105 كيلومترات[2].

وتجمع مدينة معسكر في تكوينها التضاريسي بين الهضاب والجبال والسهول مثل هضبة المأمونية التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ب 687 وجبل شارب الريح الذي ارتفاعه ب 910 م ، و من السهول سهل غريس الممتد على مسافة 55 كلم وبعرض قدره 20 كلم وتشرف مدينة معسكر حاليا على 60% من المساحة الكلية لبني شقران وهذا الموقع الجغرافي في الوسط أكسبها أهمية استراتيجية كبيرة .

ويسود مدينة معسكر مناخ شبه قاري يتميز بتذبذب سقوط الأمطار والتي تبلغ في المتوسط 500 ملم سنويا، أما عن غطائها النباتي فهو متباين بين غابات العرعر والصنوبر والبلوط[3] وقد وصفها الرحالة والجغرافيين في مؤلفاتهم أمثال الرحالة ابن حوقل الذي وصفها في كتابه صورة الأرض بقوله "... المعسكر قريه عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه[4]

2 ـ الخلفية التاريخية للنشأة والمنشأ

أ ـ وهران

تعتبر مدينة وهران من المدن القديمة عاش فيها الإنسان منذ ما قبل التاريخ. وهو ما أكدته البحوث العلمية التي أجريت في المغارات والكهوف.

---

[1] مالية بن ساعة ،الحواضر الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني معسكر كنموذج، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي إشراف الشافعي درويش جامعة غرداية 2020/2019،،ص15

[2] علي بن العيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني ،مذكرة ماجستير تخصص تاريخ حديث ،إشراف مريم صغير،جامعة الجزائر 2009/2008 ،ص20

[3] المرجع نفسه ص 21

[4] أبي الاسم ابن حوقل النصيبي ،صورة الأرض ،منشورات دارمكتبة الحياة ، بيروت 1992 ،ص88 ،89.

وفي العهد الفينيقي أطلق عليها اسم المرسى العبير أما في العهد الروماني، فلقد كانت تسمى(كيزا)

وقد استمرت المدينة في التطور ببطء منذ القرن 3 نجري / 10ميلادي إذ عرفت تطوراً واسعا وهاما، في جميع مجالاتها بعد أن دخل إليها واستقر به عدد كبير من مهاجري الأندلس وحملوا إليها خبرائهم، وخاصة لقائد(خزر) الذي لعب دوراً كبير في توسيعها وتعميرها حتى اعتبره البعض من مؤسسيها الأوائل .

بعد ذلك عاشت وهران في ظل الحكم الفاطمي للمنطقة وتحكمها عدة أمراء صنهاجيين لصالح الفاطميين منهم زيري بن مناظر الصنهاجي .

أما في فترة حكم الموحدين فقد عرفت المدينة تطورها في الحركة الثقافية وظهر بها العديد من العلماء أمثال أبي محمد بن عبد الله بن الجبل [1] ثم بقيت وهران تحت ظل الحكم الزياني

وعرفت في هذه الفترة نشاطا ثقافيا واسعا، وتحولت إلى قبلة للعلماء، ومن أهم من نبغ في هذه القشرة وعرف في هذه الفترة أبي القاسم بن عبد الرحمان الوهراني .

لقد عرفت وهران في فترة الحكم الزياني أنها مدينة الأولياء حيث ظهر بها الكثير منهم وقد تميز هؤلاء بإنتاجهم الفقهي والعلمي . [2]

ب . معسكر

تعتبر مدينة معسكر من أقدم المناطق التي استقر بها الانسان وعمرها منذ ما قبل التاريخ بدليل العثور على بقايا عظام إنسان ما قبل التاريخ في منطقة تغنيف أو ما اشتهر بأقدم إنسان في إفريقيا وأيضا تعود منطقة معسكر إلى الفترة القديمة في وقت الرومان، إذ أقاموا بها حصونا وسموها "كسترنوفا" أي " المعسكر الجديد"

[1] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة النسر والتوزيع طبعة خاصة 2007 . ص 23 – 27،

[2] محمد بن عرية، التسوق والصوفية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني صوفية وهران وأحوازها أنموذجا .المجلة الجزائرية للمخطوطات عدد خاص جوانب 2011 . ص 59

أما في العهد الإسلامي فقط كانت معسكر ضمن مناطق الدولة الرستمية التي تأسست (160هـ - 296 هـ 776 م - 923 م)، ويقال أنها كانت مقر الأئمة الرستميين كما خضعت معسكر كذلك لحكم الأدارسة بالمغرب الأقصى (172 - 311 هـ) (788 - 923م) .

وكانت معسكر في القرن 4 هـ /10 م مدينة صغيرة لم يرد ذكرها كثيرا إلا في كتب الرحالة والجغرافيين كابن حوقل في كتابة صورة الأرض، أما في عهد الدولة الفاطمية تم اتخاذ مدينة معسكر قاعدة للقضاء على ثورات القبائل كثورة قبيلة زناتة، وأما في عهد الموحدين فقد كانت المدينة قلعة لحراسة المناطق المحيطة بها[1]

وأيام بني زيان اتخذ يغمراسن معسكر قاعدة عسكرية ومن قبائلها جيشا سماهم الحشم، لمراقبة القبائل المتمردة بجبال بني شقران وفي هذه الفترة بدأت معسكر تضع أول لبناتها كحاضرة من الحواضر العلمية بالجزائر ، حيث أصبحت منبع علم التوحيد باعتراف علماء من بينهم الشيخ أحمد المقري الذي قال في حاشيتة على صغره سنوسي بأن سنده في علم التوحيد يتصل بعلماء الراشدية العارفين بهذا الشأن ثم تعرضت المنطقة للغزو الاسباني الاول سنة 1505، والثاني سنة 1517 - 1518 بمساعدة أبو حمو موسى الثالث سلطان تلمسان[2]

أما في العهد العثماني فقط كانت معسكر تتمتع بأهمية بالغة شاملة لمختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويذكر أن مدينة معسكر أعلنت ولاءها للعثمانيين عن طريق شيخ المدينة الكبير "أحمد يوسف الراشدي المليلي"

وقد اتخذ العثمانيون معسكر عاصمة الغرب مدة تقارب القرن من الزمن نظرا لكونها ذات موقع استراتيجي هام فهي ذات مناعة وحصانة لوقوعها على منحدرات جبال بني شقران وكذا كونها منطقة غنية بانتاجها الزراعي الوفير[3]

عاشت هذه المدينة عصرها الذهبي في أواخر العهد العثماني ونالت شهرة على مستوى بلاد المغرب العربي بفضل البروج علمائها ومشايخها في مجال العلم والمعرفة أمثال "مصطفى بن عبد الله الرماسي صاحب كتاب المريد على شرح عقيدة التوحيد " و"بن سحنون الراشدي

---

[1] مالية بن شاعة ، المرجع السابق ، ص 15

[2] صلاح الدين بن نعوم ،القضاء في معسكر في العهد العثماني ،مذكرة ماستر ، تخصص تاريخ وحضارة إسلامية ، إشراف عبد المجيد بن معينة جامعة ، جامعة وهران ، 2017/2016, ص 14

[3] علي بن العيفاوي ،المرجع السابق ، ص25 -29.

و"أبو راس الناصري" الملقب بحافظ العصر، و"عبد القادر السنوسي" وغيرهم من العلماء في شتى مختلف العلوم[1]

وبعد سقوط الجزائر في يد الجيش الفرنسي 1830م، تزعم الأمير عبد القادر المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي لعدة عوامل و اتخذ في عام 1830 من مدينة معسكر عاصمة الإمارة ومقرا لقيادتها العسكرية، ومن قلبي هذه المدينة بدأت تحضير لإرساء قواعد أول دولة جزائرية حديثة ، ورغم صمود المدينة ضد الجيش الفرنسي إلى أنها سقطت في 30 ماي 1841 بعد أن أغار عليها الجنرال بيجو وحولها إلى مركز استعماري، قامت هذه المدينة بمقاومة الاحتلال، وواجهت سياسته بالرفض سنة 1863 وكذلك سنة 1914 وبعد الحرب العالمية أصبحت حقلا للخلايا الأولى للحركة الوطنية والاصلاحية، رغم الظروف الصعبة التي مرت بها" المنظمة السرية الخاصة " بعد سنة 1949 فإن الخلايا السرية لهذا التنظيم ظلت تواصل نشاطها بهذه المدينة دون توقف .

وبعد اندلاع الثورة 1954 تحملت مدينة معسكر وضواحيها نصيبا كبيرا من أعبائها ومن أشهر المعارك التي خاضها جيش التحرير في النواحي القريبة من معسكر، معركة معسكر 24 أوت 1957، ومعركة جبل المناور 5 سبتمبر 1957، معركة الكاف الأصفر21/ 22 فيفري 1956 وغيرها من المعارك الاخرى[2]

3. الخلفية العلمية

أ. وهران

ظهرت وهران كحاضرة من حواضر المغرب الإسلامي، بسبب مكانتها العلمية البارزة وقد رحل إليها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وظهر بها ولاة أجلاء نبغوا في مختلف

[1] عدة بن داهة ، معسكر قبل التاريخ ،دار الخلدونية ط 1 ، 2005، ص 56

[2] عدة بن ساعة ، المرجع السابق ،ص 72-92

العلوم والفنون، ويرجع ذلك إلى احتواءها على عدة منشآت تعليمية كان لها الدور الفعال في ترقية الحياة العلمية والثقافية في وهران ومن أهم هذه المؤسسات التعليمية[1]

المساجد

واحتوت وهران على عدة مساجد ساهمت في إثراء الحياة العلمية بها ومن أهمها، مسجد البرانة أسس سنة 1708. ومسجد الجامع جامع سيدي الهواري الذي حوله الاحتلال الفرنسي إلى مستشفى عسكري[2]

الكتاتيب القرآنية

و هي ذات وظيفة دينية وتعليمية وتمحورت وظائفها الأساسية في تحفيظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة وعزل الطفل عن ثقافة المستعمر ومقاومة سياسة التخريب التي انتهجتها فرنسا لمحو الشخصية العربية الإسلامية، خاصة وأن فرنسا كانت تسعى لضرب العقول .[3]

الزوايا

هي عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام . تشمل بيوتا للصلاة، وغرفا لتحفيظ القرآن وأخرى لكل الطلبة ..... إخ ، وقد انتشرت بشكل كبير في وهران بسبب الانتشار الواسع للطرق الصوفية [4] وكانت للزوايا أدوار متعددة كالدور التعليمي والديني، فقد كانت مثابة الجدار الواقي للمقاومة التنصيرية في الجزائر، وذلك من خلال التعليم الذي كانت تقدمه لأبناء الجزائر، كالتعليم الشعبي الذي يهدف. إلى تعليم الفئات

[1] مختار بونقاب، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال ق 18 – 19، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف مكحلي محمد جامعة سيدي بلعباس . 2015 /2016 ص 63، 64

[2] المصدر نفسه، ص 262، 263

[3] المصدر نفسه، ص 262، 263

[4] المصدر نفسه، ص 74 .

الشعبية المبادئ العامة لدينهم والسيرة النبوية والإفتاء .. إلخ ، والتعليم القرآني بهدف تحفيظ النشئ القراءة والكتابة ،واللغة و علوم اللغة والنحو.[1]

ولكونها الركيزة الأساسية التي تدفع عجلة الحركة الثقافية والفكرية، عملت الجزائر إبان الثورة التحريرية على نشر العلم العربي وجعل اللغة العربية لغة التعليم والاتصال بين المواطنين وقد اعتمدت على المؤسسات التعليمية التابعة لحزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين من كتاتيب وزوايا ومدارس حرة كي تحافظ على الهوية الجزائرية الوطنية، وبادرت في تنظيم دروس محو الأمية باللغة العربية، وشيدت العديد من المدارس أشرف على التدريس فيها الطلبة الجزائريين الذين قدموا من مصر وسوريا[2]

من أعلام حاضرة وهران :

أنجبت وهران أعلاما وعمالقة في الفكر والثقافة واستقطبت أعدادا آخرين من مختلف الأمصار ، وقد تمتع هؤلاء بشهرة ومكانة كبيرتين وشاركوا كلهم في إثراء حضارة هذه المدينة وكانت لهم بصماتهم في مجالات كثيرة خاصة في الفقه والحديث والشريعة والأدب ومنهم:

الشيخ المحدث أبو إسحاق إبراهيم الوهراني:

وهو أعظم علماء القرن 12 م، ألف عدة رسائل ومقامات، والكاتب الأديب محمد بن الحسن ابن الخوجة المستغانمي وهو من أدباء القرن 19 م له عدة مؤلفات أدبية منها " عمدة الزاد في إعراب كلا شيء وجئت بلا زاد "

ث ـ ابراهيم التازي (866 هـ - 1462 م)

يعد ابراهيم التازي (866 هـ - 1462 م) من أشهر العلماء فيها ،وقد اشتهر هذا العالم بإتقانه علوم القرآن والحديث واللغة وقواعدها والأصول والمنطق، وقد نظم الشعر في الزهد

[1] محمد العربي الأوضاع الاجتماعية والثقافية في عنابة وهران 1945 - 1962، أطروحة دكتوراه، تاريخ حيث ومعاصر، إشراف محمد مجاود جامعة 2014 – 2015، ص 282.

[2] المصدر السابق، 335

والتصوف ويقال أن له كتاب كبير من الأشعار المتداول في الحجاز، ومن أهم قصائده قصيدة المرادية

ومما سبق نخلص إلى أن كل من مدينتي معسكر ووهران كانتا من الحواضر العلمية العريقة عبر التاريخ، بفضل جهود علمائها ومؤسساتها التعليمية فبالرغم من الظروف السياسية لهذه الحواضر إلى أن ذلك لم يمنعها من اكتساب نهضة علمية رائدة شملت مختلف العلوم، ولم يقتصر إشعاع هاتين الحاضرتين على العصر القديم فقط فهي لا تزال تنجب العلماء و الأدباء والشعراء لغاية يومنا هذا،

ب معسكر

شهدت مدينة معسكر حركة ثقافية وعلمية وفكرية خلال القرنين 18 والتاسع عشر ميلادي إذ قامت بها مدارس ومعاهد علمية من مساجد وزوايا صوفية عريقة ومدارس متنوعة نبغ بها علماء أجلاء، وفقهاء وشعراء فحول وعلماء متميزون ومحدثون أمناء ومدققون في الرواية ومؤرخون نبغوا في ميدان التأليف وطلاب علم ومعرفة[1] ، ومن خلال هذا المدخل سنحاول التطرق الى أهم المنشآت التعليمية ومناهج التعليم و أهم علماء هذه المنطقة .

- المساجد :

كانت المساجد تقوم بالدور الديني والروحي، إلى أنها تطلع بدورها التعليمي باعتبارها معاهد متوسطة وعالية تقام فيها حلقات الدروس والعلوم بشتى أنواعها، وقد ساهمت المساجد بشكل كبير في تفعيل مسار الحركة العلمية ومن أهم المساجد في مدينة معسكر ما يلي

- الجامع العتيق الاعظم:

يعتبر هذا المسجد إحدى الدعامات الأساسية التي أثرت الحياة العلمية في معسكر ويعد دليلا واضحا على النهضة العلمية والحضارية وقد استمر نشاطه العلمي والثقافي إلى غاية سقوط معسكر في يد الاحتلال عام 1835

[1] قدور بوجلال ، المنشأة التعليمة بمعسكر عند الباب محمد بن عثمان الكبير ، جامعة مصطفى اسطمبولي ،معسكر ، ص 235

- جامع عين البيضاء:

وهو الجامع الذي بويع فيه الأمير عبد القادر

- الجامع الكبير :

وهو من أهم الإنجازات العلمية والحضارية في معسكر وقد شارك في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية للبلاد وتنوير عقول الأجيال الجزائرية على مر الزمان وقد سلم من التخريب والتدمير الذي لحق بالمساجد الأخرى .

ب ـ المدارس

وهي من أهم المراكز التعليمية تدرس فيها مختلف العلوم العقلية والنقلية كالفقه والأدب والطب والفلك ومن أهم مدارس معسكر قديما المدرسة المحمدية، التي كان لها صدى واسع في العالم العربي والاسلامي إذ اعتبرت أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء وتلاميذ مقبلين على العلم بشكل كبير، وجعلت هذه المدرسة مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة وقد أشار إليه ابن سحنون بقوله : " هي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها" .

وقد خصصت لتدريس جميع العلوم وخاصة علوم الفقه وعلوم اللغة العربية كالنحو والبيان وقد وصفها الأديب أحمد بن علال المشهور بلقرومي قائلا :

تحويه مدرسة غدت آثارها . *** تحية بالعلم الشريف في الأشعري

تمحي رسوم الجهل من الواحة ***تمحي جمائله من الزور السري

ومن المدارس أيضا مدرسة القيطنة تأسست على يد مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر سنة 1787 وكانت تلقب بالمعهد نظرا لتوافد الطلبة والعلماء عليها ومن أشهر من درس بها أبو راس الناصري ودرس بها علوم اللغة والدين والنحو[1]

الزوايا والمعاهد

عرفت مدينة معسكر كغيرها من المدن انتشار الزوايا والمعاهد بشكل كبير بفعل تواجد عائلات ذات مكانة ووجاهة كبيرتين توارثها أبا عن جد، وقد توارثت هذه العائلات العلم والوظائف العلمية والتدريس ومن أبرزها عائلة ابن التهامي ، وعائلة الشيخ مصطفى وابنه أبي

راس الناصري، وقد أولت هذه العائلات عناية خاصة بإنشاء الزوايا ومعاهد العلم، ومن أهم الزوايا في مدينة معسكر زاوية أبي راس الناصري ،التي كانت تشع بالعلوم والمعارف التي كان يلقيها الشيخ أبو راس الناصري على طلبته، و كذا زاوية الراشدية، ...إلخ [2]

المكتبات

احتوت مدينة معسكر على عدة مكتبات أهمها مكتبة الجامع الأعظم أسسها الباي محمد الكبير وكانت مجهزة بالوسائل التعليمية والتثقيفية، كما احتوت على عدة تآليف وتصانيف متنوعة وأيضا مكتبة أبو راس الناصري، ومكتبة المشارف [3] .

التعليم:

كانت التعليم فيها الجزائري قديما لا يختلف عن سائر بلاد العالم الإسلامي وكان يخضع للعادات والتقاليد المنتشرة بين الناس فالتعليم الثانوي والعالي كانت تعقد له حلقات في صحن المسجد أما التعليم الإبتدائي فتخصص له بيوت تابعه لمرافق المسجد ويطلق عليها اسم الكتاب تارة أو المسيد تارة أو المعمرة تارةأخرى وكان المشرف على هذا التعليم إمام المسجد ويتولى مباشرته نخبة من حفظة القران يتم اختيارهم وفقا لمقاييس الاستقامة وحسن السيرة والسمعة الطيبة.

وكان لهذا التعليم نظام داخلي تتحدد فيه أوقات العمل والعطل وتحدد فيها أجرة العامل التي يدفعها في الغالب أباء التلاميذ[4]

لقد كان التعليم منتشرا في المدن والقرى ولم يكن يخضع لقوانين رسمية فكل طالب ذو كفاءة يمكنه تولي مهنة التدريس فيجمع عددا من الطلبة ببعض المساجد أو المساكن ويتولى تمويلهم السكان ويعقدوا سنويا ختما يدعى لحضوره أعيان السكان في طليعتهم الفقهاء فيلقي

---

[1] مالية بن شاعة المرجع السابق ، ص 21 – 29

[2] ، المرجع السابق ، ص30 – 33

[3] [3] المرجع نفسه . ص 35 36

[4] علي بن العيفاوي ، المرجع السابق ،ص 110

الشيخ درسه أمام هيئة علمية وعند انتهائه يفتح باب المناقشة وبعد ذلك ينال الإجازة في التعليم وهو ما يعادل الشهادة في وقتنا[1] .

أما عن المستوى الثقافي والعلمي في دولة الأمير عبد القادر فقد كان مشرقا حيث أقبل الأمير عبد القادر أثناء تنظيم إدارته بتوجيه عناية خاصة لتنظيم التعليم وتشجيع الطلبة على تحصيل العلم بتعميمه في مختلف القبائل وكان هدف الأمير من ذلك هو الحفاظ على التراث العربي الاسلامي وتطويره معرفيا ، وكذا فهم القيم الإسلامية والوطنية لدى الشباب الجزائري والحفاظ على التماسك الاجتماعي نشطت بذلك الحركة العلمية وانتشر التعليم و أقبل الناس على تعليم أبنائهم فكثر النفع وعمت الفائدة وقد جعل الأمير عبد القادر الزوايا سندا لنظام دولته ومركزا للتربية والتعليم فكانت العمود الفقري لنظام التعليم إذا كان يزودها بالمعلمين ويمدها بالمساعدات المالية والمواد الغذائية وكان التعليم في عهد الأمير عبد القادر يمر بثلاث مراحل .

الطور الابتدائي : ويتعلم فيها الطفل مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن على مستوى خيمة تدعى الشريعة يشرف عليها المؤدب .

الطور الثانوي : يواصل فيه التلميذ تعليمه مجانا في جامع أو مدرسة ملحقة بالأوقاف وتشمل الدروس (النحو، تفسير القرآن) وينال فيها الطالب إجازة .

الطور العالي : والمدرس في هذه المرحلة يسمى عالما وتشتمل دروس هذا الطور على النحو والفقه والحديث والحساب والفلك والتاريخ[2].

---

[1] ناصرالدين والشيخ المهدي بوعبدلي ،الجزائر في التاريخ في العهد. العثماني ،المؤسسة الوطنية الكتاب الجزائر ، الجزائر 1984، ص ص 204 ، 205

[2] سهير حملاوي ، الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري 1832، 1847 ،مذكرة ماشتر تخصص تاريخ معاصر ، جامعة بسكرة 2014 ،_2015 صو117- 120

.التعليم الفرنسي:

وهو التعليم الذي تشرف عليه الإدارة الفرنسية والموجه للفرنسيين والجزائريين غير أن خطورته تكمن في كونه أداة سياسية في خدمة الاستعمار وهو ما صرح به الحاكم العام جونار " إن المدرسة الابتدائية التي تمثل حجر الزاوية الجمهورية في فرنسا هي سند لهيمنتها على الجزائر .

وكان دور هذه المدارس يكمن في نشر القيم الوطنية والمدنية التي تتماشى ومصالح الجمهورية وقد أعدت السلطات الاستعمارية برامج وتعليمات للمعلمين تحثهم فيها على تلميع صورة فرنسا لدى الجزائريين من خلال دروس التاريخ .

وقد أنشأت فرنسا مدرسة عربية في مدينة معسكر سنة 1866 وبحلول عام 1874 أغلقت معظم المدارس الابتدائية الأهلية بما في ذلك مدرسة معسكر وإنشاء أول مدرسة ابتدائية فرنسية 1874 وهي مدرسة الاسكندر الثالث (يوسف مختار حاليا) وهي مخصصة لأبناء الأوروبيين وكانت فرنسا ترفض استقبال الجزائريين في المدارس الخاصة بالأوروبيين ولذلك أنشأت مدرسة ابتدائية خاصة بهم سنه 1924 اسمتها المدرسة الأهلية بحي باب علي وهي المدرسة التي اضطر تلاميذها إلى مغادرة الدراسة بسبب الفقر ونوعية التعليم الذي كان أقل مما هو عليه في المدارس المخصصة للأوربيين

هذا وقد استمر الفرنسيون في تطبيق سياسة تعليمية تتماشى ومصالحهم وقد أقدموا على بناء مدارس ابتدائية عليا لتوجيه التلاميذ نحو امتحان الأهلية ومسابقة الدخول إلى مدرسة المعلمين منها مدرسة Eps للبنات سنة 1918 (مدرسة محي الدين بن مصطفى الراشدي حاليا) وأخرى للبنين سنة 1927 (ثانوية جمال الدين الافغاني)[1] .

وعلى الرغم من هذه السياسة الاستعمارية إلى أنه قد ظهرت حركة اصلاحية في معسكر وقد حقق علماء الإصلاح نجاحا كبيرا في الميدان التعليمي والثقافي، من خلال مدرستهم وانتشر التعليم العربي الحر وفتحت مدرسة إصلاحية في معسكر سنة 1932 ومن مدرسها الشيخ أحمد خليل رائد الاصلاح في معسكر[2] .

[1] أحسن جاكر ، الحركة الوطنية في معسكر 1930-1954 ،رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر إشراف فغرور دحوا جامعة وهران 2008ز2009 ، صو57 – 60

[2] المرجع نفسه ، ص 100 .

. الأعلام

. أبو راس الناصري:

محمد بن أحمد بن عبد القادر بن ناصر الجليلي[1] المعسكري ولد سنة 1737 بقلعة راشد ولاية معسكر بدأ تعلمه بالكتابة و حفظ القرآن الكريم عندما كان مقيما بالمغرب وهو من أشهر علماء معسكر على الإطلاق وأكثرهم غزارة في الإنتاج الفكري ، انتقل منذ صغره بين مسقط راسه وتنس والمغرب الأقصى ،حفظ القران الكريم واستوعب العلوم الإسلامية على يد علماء عصره، ثم تفرغ للتدريس والإفتاء في مدينة معسكر، وتولى عدة مناصب كالقضاء اشتهر بغزارة علمه و ألف في مختلف الأغراض والعلوم شعرا ونثرا، وخلف وراءه 136 مخطوطا .

وقد تنوعت تآليف أبي راس الناصري وشملت مختلف العلوم والمعارف ومن أهمها "زهرة الشماريخ في علم التاريخ "، " الجمان في شرح عقيدة أبي عثمان "، "العقود الجوهرية "، "العقود الجوهرية النوازل العسكرية "، " الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية."

. الشيخ محي الدين بن مصطفى بن المختار الغرسي:

وهو والد الأمير عبد القادر ولد 1776 ، قصده طلاب العلم والمعرفة من كل الأمصار و اشتهر بغزارة العلم والمعرفة[2] .

. الأمير عبد القادر :

الحديث عن حياته وتعليمه مؤلفاته ووجود في هذه المذكرة التي قمت بكتابتها

ـ الشيخ أحمد خليل:

رائد الاصلاح في معسكر وهو من عائلة مرابطية تنتسب إلى الوالي الصالح سيدي أحمد ولد 1870، وهو من أبرز نشطاء الحركة الإصلاحية الذين اهتموا بالتعليم الحر لما له من أهمية في ترسيخ حب الوطن في أذهان التلاميذ وإعطاء أهمية للغة العربية والدين الإسلامي[3]

---

[1] محمد أبو راس الجزائري ، فتح الله وممتع في التحدث يقضا ربي ونعمته تح، محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية الكتاب ص 25

[2] علي بن العيفاوي ، المرجع السابق ، ص 16

[3] أحسن جاكر ، المرجع السابق ، ص 10

- الشيخ جاكر علي :

وهو من الشخصيات البارزة في مدينة معسكر ولد 1914 وهو من عائلة عريقة أنجبت العديد من الوطنيين والمثقفين، مارس تعليمه الابتدائي والمتوسط في معسكر وتحصل على الشهادة الإعدادية سنة 1930، وتميز جاكر علي بتسخير ثقافته الواسعة لفائدة التعليم الحر حيث كان يقدم دروسا للأطفال والشباب ليتسلح بالعلم ويتمسك بمقوماتهم الشخصية اللغة العربية ومن التلاميذ الذين استفادوا من دروسه" دحو ولد قابلية" وزير الجماعات المحلية وكان جاكر أيضا معلما في المدرسة الابتدائية في باب علي، ومديرا لمدرستي حسيبة بن بوعلي و الأمير عبد القادر بمعسكر، وتوفي سنة 1984 [1].

4. خاتمة

مما سبق نخلص إلى أن كل من مدينتي معسكر ووهران كانت من الحواضر العلمية العريقة عبر التاريخ بفضل جهود علمائها ومؤسساتها التعليمية فبالرغم من الظروف السياسية لهذه الحواضر إلى أن ذلك لم يمنعها من اكتساب نهضه علمية رائدة شملت مختلف العلوم، ولم يقتصر إشعاع هاتين الحاضرتين على العصر القديم فقط فهي لا تزال تنجب العلماء و الأدباء والشعراء لغاية يومنا هذا .

وفي هذه البيئة الثقافية والعلمية والفكرية برز الأديب والناقد الكاتب محمد بشير بويجرة وهو الذي سنتحدث عنه وعن نشأته وعن مؤلفاته ومساره فيما سيأتي:

ثانيا: السجل الحياتي للدكتور محمد بويجرة

1. المولد والنشأة

أنجبت الجزائر العديد من الأعلام والعلماء والمبدعين في شتى المجالات ومن بين هؤلاء الدكتور محمد بشير بويجرة الذي سنتتبع مسار حياته ونشأته ومعرفة البيئة التي ترعرع بها.

[1] نفسه ، ص 124 ،125

ولد محمد بشير بويجرة في 3 فبراير 1948م1 بعين الشرفة ولاية معسكر، بدأ حفظ القرآن الكريم على يد والده سنة 1965م .

كانت عائلته من الثوار المجاهدين ضد المستعمر الفرنسي إذ التحق والده بنداء الجهاد ضد المحتل سنة 1956م وفي نفس السنة استشهد عمه وابن عمه ودمرت القوات المحتلة مسكنه العائلي .

بعد ذلك التحق محمد بشير بويجرة للعيش عند خالته في مدينة" سيق", لفترة من الزمن، إلى أن قام والده بتكليف أحد الفدائيين بشراء قطعة أرض في حي الزيتون الفوقاني الشعبي بمدينة وهران، وتم بناء منزل " كوخ قصديري " والذي كان مأوى له ولعائلته، وهناك بدأت رحلته العلمية إذ التحق بالمدرسة الابتدائية باللغة الفرنسية سنة 1965م .2

2. المسار العلمي والتعليمي:

كان أول تعليم تلقاه الكاتب محمد بشير بويجرة هو بدأ حفظه القراءان على يد والده سنة 1952م، وفي بداية 1956 التحق بالمدرسة الابتدائية باللغة الفرنسية في حي البحيرة الصغير، بالموازاة مع حفظه القرآن الكريم .

تحصل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية في شهر جوان 1962م، وتقديرا على حصوله على المرتبة الأولى قررت إدارة المدرسة إرساله إلى باريس لقضاء العطلة الصيفية لكن والده أبلغه رفضه عن طريق أحد الفدائيين المدعو " الجن " ضمن الفرقة التى كان يقودها الفدائي " عتو"

و بعد استقلال الجزائر في 1962م عادت أسرة الأديب الى "عين الشرفة "ولاية معسكر، أين أتم بويجرة حفظه للقرآن سنة 1965، وفي نفس السنة سافر إلى المملكة الليبية للدراسة في جامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية . أين تحصل فيها على شهادة الإعدادية وفي سنة 1971 تحصل على شهادة البكالوريا.3

---

[1] برياح زهرة ؛ الجزائر كانت وما زالت فاعلا أساسيا في صناعة الفعل الثقافي والحضاري , مجلة الجمهورية, 29 /2013/04. بدون عدد.

[2] فاطمة طاهي , الأدب والتاريخ مبخوسا القيمة في الجزائر لتغلغل البعد المادي ,جريدة البصائر ،

[3] فاطمة طاهي نفسه

عاد بعد ذلك الأديب بويجرة إلى الجزائر سنة 1975م والتحق بجامعة وهران التي تحصل فيها على شهادة الليسانس واشتغل فيها كمتصرف إداري إلى غاية 3 أفريل 1975م

وفي 15 جويلية 1975م التحق الأخير بالخدمة الوطنية بولاية البليدة وما إن أتمها حتى عاد إلى منصبه كمتصرف إداري بوهران مكلف بالشهادات والجذوع في المركز الموحد للتسجيلات في جامعة وهران ثم التحق بالتعليم في الجامعة كأستاذ سنة 1981م.[1]

في مارس 1982 تحصل على دبلوم الدراسات المعمقة (D.E.A) وفي نفس السنة انتقل إلى معهد اللغة العربية وآدابها ثم عين رئيس دائرة الأدب حتى سنة 1985م وهي السنة التي تحصل فيها على شهادة الماجستير. بعد ذلك مباشرة عين محمد بويجرة نائبا لمدير المعهد مكلفا بالبيداغوجيا.

وفي سنة 1986م أصبح نائبا لمدير المعهد، مكلفا بالدراسات العليا والبحث العلمي حتى سنة 1987م.

وفي سنة 1987م التحق بجامعة عين شمس بالقاهرة في جمهورية مصر العربية، أين تحصل على دكتوراه دولة في 2 فبراير 1991م. وكتكريم له، نظم السفير الجزائري محمد الميلي بالقاهرة حفل استقبال حضره الأساتذة المناقشون و الأستاذ المشرف إبراهيم عبد الرحمان، والأستاذ الدكتور مصطفى الثوري المشرف المساعد.

عاد الدكتور محمد بويجرة إلى منصبه في جامعة وهران سنة 1991م وامتهن التدريس فيها، ثم عين مدير للمعهد اللغة العربية وآدابها بنفس الجامعة سنة 1998م.

وبعدها بعام عين عميداً لكلية الآداب واللغات والفنون بنفس الجامعة أيضا.

وكان أول عميد للكلية بعد الإصلاحات الهيكلية التي أدخلتها وزارة التعليم العلمي والبحث العلمي على المؤسسات الادارية والبيداغوجية.

التحق الدكتور سنه 2002 م بالبرلمان مرشح عن حزب جبهه التحرير الوطني وأصبح نائبا في المجلس الشعبي الوطني من 2002 الى 2007 وتولى خلال هذه الفترة عده مناصب هي

_رئيس لجنة الصداقة البرلمانية الجزائرية الإيرانية.

[1] محمد بشير بويجرة، مداخلة بعنوان: جبهة التحرير، عرش عقيدة، الهوية الوطنية، المقاومة، أيعنت فأبهرت، يوم دراسي بعنوان الذكرى 66 لاستشهاد البطل علي شريف شريط، ص 8

_عضو مجلس الشورى المغاربي

_رئيس لجنة المالية والاقتصاد والبيئة في مجلس الشورى المغاربي من سنة 2005 الى 2007 م.[1]

3: محمد البشر بويجرة بين المنجز العلمي والأدبي :

شغل محمد البشير بويجرة عددا من المناصب العلمية التي أسهم فيها بحظ وافر من العطاء، كما قدم للمكتبة الجزائرية والعربية الكثير من المنجزات العلمية

أ. المنجز الوظيفي

- عضو المجلس العلمي لمعهد اللغة العربية وآدابها في جامعة وهران.

- عضو لجنة الخبرة والتقييم لمشاريع الماجستير (الناحية الغربية للوطن.)

- مناقشة عدد كبير من رسائل الماجستير في كل من جامعة وهران، الجزائر، تلمسان، قسنطينة، عنابة، بشار، باتنة، معسكر.

- عضوا مختبرا للخطاب الأدبي في الجزائر جامعة وهران.

- عضو هيئة التحرير مجلة دراسات جزائرية التي يعدها الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران .

- خبير في مشاريع البحث الوطنية على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- مستشار علمي لدى وزارة الثقافة لإقامة "عكاظية الجزائر للشعر العربي" في السنوات المتتالية من م2007 إلى 2010م لوضع البرنامج الخاص هذه العكاظيات .

- خبير علمي ومقوم للمقالات العلمية إلى جامعات كل من وهران مستغانم ومعسكر وقسنطينة .

- خبير علمي ومقوم المقالات لدى كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة معسكر .

مستشار علمي المديرية الثقافة في ولاية وهران منذ 2005 حتى الآن.[1]

[1] بلخير نسرين، دراسة كتاب بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1986/1970م للدكتور محمد بشير بويجرة، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص نقد الحديث والمعاصر. ص7_8جامعة مستغانم

ب ـ المنجز العلمي :

يحفل سجل محمد البشير بويجرة بأكثر من عشر ما بين مؤلفات وإصدارات فكرية ونقدية وروائية خاصة بالأدب العربي والرواية التاريخية التي قدمها للمكتبة الجزائرية والعربية التي سنعرض لها فيما يلي:

- كتاب (الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986 وطبعة ثانية : دار الأديب للنشر والتوزي وهران 2007 .

- في يوم الجب (مجموعة القصص) دار الأديب للنشر والتوزيع مارس 2005 .

- كتاب (بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (الجزء الأول - دار الغرب للنشر والتوزيع - 2001، وطبعة ثانية : دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران 2007 .

- كتاب الأمير عبد القادر "رائد الشعر العربي الحديث دار القدس العربي للطباعة النشر سنة 2009 بدعم من وزارة الثقافة في اطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب الجزائر .

- كتاب (الأنا والآخر، ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية) طبعة أولى، سنة 2007، دار الأديب للطباعة والنشر، وهران، الجزائر.

- كتاب (الأنا والآخر . ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية (طبعة ثانية 2013 بدعم وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني للرقية الفنون والآداب، الجزائر .

- كتاب جدلية العبقرية والمعاصرة عند صاحب الإمارة، قراءة في مسار الأمير عبد القادر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع وهران، طبعة أولى سنة 2011 .

- كتاب (مجمع الزاد في ما طفح به المقراض الحاد) دار النشر والتوزيع القدس العربي، طبعة أولى توفير 2015 .

- كتاب " التاريخ، الرواية، قضاء الرشح وغواية الانتشار " . محاولة في معاينة شمع الرواية الجزائرية الحديثة من التاريخ الوطني عن دار القدس العربي وهران 2018.

---

[1] بلخير نسرين، (م، س) ص 10

جينيا لوجيا الأدبية الجزائرية محاولة في تلمس التربيع الأدبي في مسيرة الأمة الجزائرية من خلال بعض النصوص الأدبية قبل الإسلام وبعده كتاب تحت الطبع.1

ت ـ المنجز الإعلامي والثقافي :

في جعبة محمد البشير بويجرة عشرات المشاركات الإعلامية والعلمية والثقافية منها:

- جدوى الأدب من جدوى الواقع، جريدة المساء 19 - 22 - 1986

- إشكالية الثقافة والثورة في النص الروائي الجزائري جريدة المساء 28 جويلية 1986م.

- حول أزمة النص الروائي الجزائري - جريدة الجمهورية 05/05/1986

- الطوفان ورحلة الذات والزمن جريدة المساء 21/12/1986 .

- عشر حلقات حول الشعر الملحون المصطفى بن ابراهيم البث في إذاعة الباهية وهران من ديسمبر 1997 إلى ماي 1998

- الرواية الجزائرية بين التأسيس والتأصيل، مجلة دراسات جزائرية، العدد الثالث / يونيو 1994 معهد اللغة العرب العربية وآدابها . جامعة وهران، السانيا .

- مستويات الخطاب السردي في الرواية الجزائرية : الأعمال الكاملة للملتقى الوطني الثاني " الأدب الجزائري في في ميزان النقد أيام 10 - 11 - 12 ماي 1993، جامعة عناية

- دراسة عن شعر الأمير عبد القادر، جريدة الجمهورية .

- الجدار الدان، قصة قصيرة مجلة آمال عدد 29 أكتوبر 1975 .

- دموع في يوم عالم، قصة قصيرة، جريدة الجمهورية 23 جانفي 1979م. القرات قصة قصيرة، جريدة الجمهورية 12 سبتمبر 1963م.

- أنا البحر وحكايات الشاطئ خاطرة، جريدة الجمهورية 31 جويلية 1986م.

زمنية النص وقضاء التجربة، مجلة تجليات الحداثة، العدد الثالث، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، يونيو 1994م.2

---

[1] بلخير نسرين، (م، س) ص 8

[2] بلخير نسرين، (م، س) ص 9

4: الجوائزوالتكريمات :

- الجائزة الأولى للأطروحة الجامعية، من مديرية الثقافة لولاية وهران 1986.

- الجائزة الرابعة بقصة الرصاصة والذاكرة المجلس الشعبي الولائي مستغانم، نوفمبر 1986 .

- الجائزة التشجيعية بقصة "طوفان الذاكرة " المجلس الأعلى للمجاهدين وذوي الحقوق، وزارة المجاهدين - الجزائر 30 أكتوبر 1990 .

الجائزة الأولى بقصة مناجاة من دفتر جامعي مديرية الثقافة، ولاية وهران.1

[1] نفسه ص 10

الفصل الأول:

البشير بويجرة والنزعة التاريخية في تحقيق الأدبية

قـــــــــراءة فـــــــي كتـــــــــاب

الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث

أولا: : جدلية الغبن والمبتغى الجمالي

تحدث الدكتور محمد بشير بويجرة عن نشأة الأمير عبد القادر وسط المعاناة ′ وصعوبة المعيشة ′ والظروف الصعبة في العصر العثماني في الجزائر سنة 1807 م ′ وشرح لنا حياة الأهالي والبلاد على عدة مستويات على غرار المستوى السياسي والثقافي والمستوى العسكري ′ وذكر الدكتور محمد بشير بويجرة أيضا خصال الأمير عبد القادر والعوامل التي أدت إلى بناء شخصيته وترسيمها حيث أنه نشأ في أسرة شريفة ومتمكنة من ناحية العلوم الشرعية وامتلاكه للذكاء الفائق والكمال الجسماني واطلاعه على تجارب الأمم والشعوب ′أو تنوع رحلاته وحتى الحالات المزرية التي عاشها الأهالي في المناطق النائية ′ ومخلفات الحروب أسهمت في تكوين شخصية الأمير عبد القادر القيادية والفكرية والوجودية ′ يقول عنه برونو إيتين: **"تدعونا حياة الأمير عبد القادر وأعماله أكثر من أي شيء آخر إلى كتابة تأويلية عنها أكثر منها كتابة سيرة حياته"** [1].

1 ـ الأوضاع العامة التي أحاطت بنشأة الأمير عبد القادر

لم تكن حالة البؤس والانحطاط تنحسب على ساكنة الريف وعلى أوضاعها العامة فحسب بل تجرها في جميع المستويات

أ. المستوي السياسي:

يمكن القول بأن الوضع العام في الجزائر في فترة ما قبل 1830 لم يكن محكوما إلى عمق سياسي موحد يعتمد على تفصيل المناطق والجهات ودمجها في رؤية سياسية موحدة تضع الوطن كله، ′ بل كان الوضع يتسم بالنفوذ والمبادرات المرتبطة بأمزجة حكام المناطق أو المدن والحواضر أو الجهات، ′ مما ساعد على تفشي روح التواكل وتبعثر الجهود وضعف البعد الاستراتيجي للدولة أو السلطة الموحدة في مواجهة تحديات المستعمر المتأهب على الأبواب [2].

---

[1] محمد بشير بويجرة ′ الامير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث ′منشورات دار القدس العربي ′الطبة 3 ′2009 ص 15.

[2] المصدر نفسه ص 18

إن كل ملامح الرداءة المتجلية في الوضع السياسي العام تدل على أن البلاد الجزائرية والريف على وجه الخصوص " **عرفت تقهقرا اقتصاديا واضمحلالا عمرانيا ارتبط بسوء الحالة الصحية والمعيشية** " مما جعل الكثرين يذهبون إلى القول بأن العثمانيين في الجزائر لم يكونو " **أسياد البلاد المحترمين من طرف الشعب بل على العكس، كان الأهالي يخشونهم ويطيعونهم ،إن هذا الشعور السائد لدى الأعراب والأولياء قد ضاعف من مقاومتهم لأتراك الجزائر**"[1] كما أن مثل هذا الحال لا يمكن أن تمر هكذا دون أن تلفت نظر الطفل الشاب عبد القادر ، الذي على الرغم من يسر عائلته المادي كان يفضل الاعتماد على نفسه وعلى عبقريته وقوته الجسدية وشجاعته للولوج إلى عالم الريف بغابته وفيافيه حيث كان يذهب إلى السيد بمفرده ودون حراسة أو أعوان وبدون بهجة أو لفت انتباه، ومن خلال كل ذلك يمكن القول بأن الأمير عبد القادر أكمل معاينة دقيقة عن حالة الوضع العام الذي ابتلي به الجزائريون .

يرى محمد بشير بويجرة أن مدينتي وهران ومعسكر من أكثر المدن تعرضا للحرب والثورات الشعبية التي كانت لا تهدأ واحدة حتى تظهر أخرى أكثر ضراوة من الأولى ، زيادة عن الحملات الصليبية الإسبانية ، التي كانت تخص معظم المدن الساحلية .[2] ومن خلال رحلات الأمير عبد القادر المتنوعة من البقاع المقدسة ومصر وتونس ودمشق فإن الأمير عبد القادر يرمي لاسترجاع الأمجاد الإسلامية العربية حيث وصل إلى .....أساسية أولهما الإحساس بأن هناك "مهمة تاريخية قد ألقيت على عاتقه ويتمثل ذلك في طرد الفرنسيين وإقامة دولة إسلامية عربية، " وثانيتهما " **ضرورة مكاتبة للسلطان عبد المجيد في الباب العالي يتحدث في هذه المراسلة عن انحرافه وطعنه في مصداقية الإنكشاريين في الجزائر**".

ب ـ المستوى الثقافي :

لقد اتفقت جميع المناهج والإيديولوجيات والنظريات المعرفية ، منذ القدم على مستوى الازدهار الثقافي المرتبط بمستوى الاستقرار لدى منتجي القيمة الثقافية، ، وللعلم هي نفسها مثقفة أو محبة للثقافة والمثقفين وللعلماء , وكان الوضع العام يعيش في حقل الطمأنينة والاستقرار السياسي وكانت هذه النخبة تعتني بشؤون الثقافة والمثقفين فإن المنتوج الثقافي والعلمي ، سيكون بدون شك في مستويات عليا من النضج والعطاء أما إذا توفرت ظروف أخرى

[1] المصدر نفسه ص 20.

[2] المصدر نفسه ص 21

كالتين ذكرهما محمد بويجرة في الفقرة الثامنة فإن الوضع سيكون "مخيبا للأمل " خيبة علقت بذاكرة التاريخ ′ حيث كان من المفترض أن تستمد الثقافة والعلم خلال هذه الفترة ازدهارا وانتشارا لا مثيل لهما بسبب توافد الأندلسيين الهاربين من محاكم التفتيش على الشواطئ الجزائرية ′ لما كانوا يحملونه من علم وثقافة .[1]

ولقد دفع انعدام الفعل الثقافي الراقي والمستوى العلمي أثر ضعيف بذوي المواهب والعقول الثقافية للمعرفة والتأمل بالتوجه نحو الدين والتدين بقوة ′ مما ساهم في بروز ظاهرة التصوف وتقوية تغلغلها داخل النسيج الاجتماعي وتفشيها في كل مناطق الوطن .[2]

ويعتبر محمد بشير بويجرة محمد أن الأمر لم يتوقف عند عزوف حكام هذه الفترة عن تقاعسهم في العناية والاهتمام بالعلم والعلماء والثقافة والمثقفين وعن ندرة الكتاب الأدبي الفني الراقي والبلاغي الجميل بل تجاوز كل ذلك مع دعوة "الجهاد "التي رفعها علماء الشرع في هذه الفترة وارتباطه " بالرباط " وهي القضية الجوهر التي تقوت مكانتها وتوسعت معالمها في الزوايا والكتاتيب مما دفع بالكثير من علماء الأمة إلى المشاركة في " الجهاد " والالتحاق بالربطات بغية رد الغزو الإسباني على الشواطئ الجزائرية[3].

وحسب الدكتور محمد بشير بويجرة فإن الأمر تعدى حدود ذلك ′ لأن هناك مصادر تاريخية تذكر بأن الكثير من الحكام في هذه الفترة كانوا لا يتوانون في إتهام العلماء بإثارة الفتن وتزعم الانتفاضات الشعبية ′، مما جعلهم عرضة للمتابعات والمضايقات حتى إنهم كانوا لا يجدون مفرا من الهجرة أو الانزواء والانطواء أو الصمت أو القتل مما جعل الكثير من المداشر والقرى والزوايا تثور على "الجرائم التي كان يرتكبها الأتراك على يد البايات السفاحين الذين ضربوا الرقم القياسي في الاستخفاف بأرواح الأبرياء كآخر باي للولاية الوهرانية "حسن"، فإنه كان يتبع رجال الدين والعلم فيسجن ويضرب ويعذب ويقتل وأحدث محاكم التفتيش الشبيهة بالمحاكم التي أحدثها الإسبان "[4] من هنا يمكن القول بأن ذلك كان سبب مهما في هجر اللغة العربية، وشرح معجمها المتداول وندرته بين الحكام في مراسلاتهم المختلفة ولدى العلماء

---

[1] المصدر نفسه ص 22

[2] المصدر نفسه ص23

[3] المصدر نفسه ص25

[4] المصدر نفسه ص 26

والمثقفين بصفة عامة فما بال ذلك عند عامة الشعب سواء كانوا من ساكني المدن أو من المنتشرين في الأرياف[1].

وما لفت أنظار محمد بشير بويجرة هو التساهل في استعمال اللغة العربية وغظ الطرف عن ركاكة أسلوبها ′و التساهل مع إدخال التعابير العامة في أساليب الكتابة مقابل التشدد في الدين والتشديد على التمسك بتعاليمه، ′ وتطبيق قواعده ′ قال أبو راس عن الشعر الملحون "ما في الشعر الملحون من بأس فإنه في هذا العصر لسان الكثير من الناس وتيقن أن البادية تضعف العلم".[2]

ت ـ المستوى الاقتصادي :

إن المعاينة المباشرة تؤكد على أن الايالة الوهرانية التي تشمل المنطقة التي ولد فيها الأمير ونشأ وتربى ′ كانت تتوفر على خير وفير وتملك منتوجات فلاحية متميزة ′ زيادة على امتيازها بمساحات معتبرة لتربية المواشي والأغنام وذات جبال طبيعية غنية بحيواناتها وأشجارها ′ وإذا تم استغلالها بالشكل المطلوب فإنها كفيلة بتوفير لكل ساكنيها ولكل شعوب منطقة حوض البحر المتوسط عيشا رغيدا وحياة ملأها السعادة والاستقرار، ′ بالإضافة إلى توفرها على مجموعة من الموانئ والمرافئ البحرية .[3]

بالعودة إلى كل المدونات التي تتحدث عن الفترة فإن محمد بشير بويجرة لاحظ تفشي ظاهرة الفقر والعوز والاجتياح وتفشي الفكر الرافض لحكام المدن والقلاع والحواضر، ′..... وبما أن الحكام حينذاك لم يكن لهم مصدر آخر للإنفاق على ما يحتاجونه من رفاهية وبذخ ′ وبما أن عجزهم بات بين في توفير موارد وذلك عن طريق تنشيط التجارة وتشجيع الفلاحة والرعي وحمايتها من الاستبداد والطغيان ′، فلم يكن أمامهم يد من التوجه إلى الريف فقط عند الحاجة لجلب الرجال والأموال وجمع الضرائب عنوة وقهرا .[4]

ويرى محمد بشير بويجرة أن وضعية بهذا الشكل في ريف لا حول له ولا قوة ′ تعزز بالضرورة وضعا اقتصاديا صعبا أرهقه تفكك العلاقة بين الحاكم والمحكوم وفقد الثقة بينهما ′ وتفشت المجاعة والأمراض وكثر الترحال فرديا وجماعيا وكان من أبرز أثاره التقليل من شأن

---

[1] المصدر نفسه ص 26

[2] المصدر نفسه ص27

[3] المصدر نفسه ص 28

[4] المصدر نفسه ص 28 .

الإيديولوجية المدنية وتجلياتها ′ والرفع من مظاهر البداوة والترحال ′ وهي عناصر تساعد على تعميق النزاعات الفردية والجماعية وتفشي الأمراض بكل أنواعها على الأسر والأفراد[1].

ج. المستوى العسكري :

إن فئة الحكام الأتراك الذين وضعوا أيديهم على المنطقة وصحيح أن الكثير منهم أبلى بلاءا حسنا في صد هجمات الاسبان الصليبية ′ وساهم في الكثير من المرات .....حماية المسلمين وممتلكاتهم من هجمة الغزو الصليبي الاسباني ′ لكن مع تقدم الوقت وبعد أن بدأ الرعيل الأول من القادة يغيب عن دواليب الحكم إما بسبب الموت أو بسبب العجز عن ممارسة السلطة بدأ يظهر جيل من الحكام قد لا يتوفرون على التكوين وعلى التجربة المطلوبة للامساك بزمام الأمور العسكرية ′[2] ويرى محمد بشير بويجرة أن هناك ثلاث أمور أساسية أثرت على المستوى العسكري وعلى أدائه أولها كثرة الثورات الشعبية التي شلت الأداء العسكري للقيادات الجهوية، وثانيها حرب الاستنزاف التي رفعت لوائها أوروبا المسيحية ضد الإمبراطورية الإسلامية ومن القسطنطينية بالذات حتى سمي نظام الحكم فيها الرجل المريض أما ثالث الأمور فإن محمد بشير بويجرة يرى في عجز الحكام المسلمين الأتراك في ذلك الوقت عن تبني وتشجيع الصناعة العسكرية[3] .

كما يرى أنه نتيجة لهذا الضعف سقطت الجزائر العاصمة في أيدي الغزاة الذين استطاعوا تجاوز الأسطول التركي الإسلامي الذي كان يحسب له ألف حساب وكل التحصينات البحرية التي يفترض أن يكون هذا الجيش على دراية كاملة بنقائصها وبعناصر القوة فيها وخاصة "بعد أن غادر الداي حسين البلاد بشروط مهينة .....و ترك الشعب الأعزل في أتون المعركة غير المتكافئة على الإطلاق ′ يواجه بصدور عالية أسلحة الفرنسيين ومدافعهم التي هزت قلاع المدن وبناياتها ودكتها دكا "[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 29 .

[2] المصدر نفسه ص 30

[3] المصدر نفسه ص 30 - 31

[4] المصدر نفسه ص 31

2. البيئة ..التعلم وترسيمات شخصية الأمير:

بالعودة إلى كثير من المدونات التي تقصد الإبانة عن شخصية الأمير عبد القادر ومناقبه ′ لا يمكن إنكار الإعجاب بهذه الشخصية الفذة التي أوجدت لنفسها مكانا راسخا مع العمالقة وألبست أديم هذا الوطن الحبيب ليعيش الفخر والاعتزاز ′ يقول عنه أحد المتحدثين عن شخصيته : " شاب .....رشيق ′ أبيض اللون ′ يرتسم النبل والحلم على ملامح وجهه′ وكانت عيناه ذات لون أزرق رمادي ′ ولكنهما براقتان ′و لحيته سوداء منتظمة ′و أسنانه التي انكسرت إحدى ثناياها ′ ناصعة البياض ′ وكان صوته عميقا ′ وكانت به نعومة ورقة ′ وكان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه وخده الأيمن ويده اليمنى " ويصفه آخر " يفضل الجواد الفاحم السواد ′ اللون الذي كان يفضله .... والعين الثاقبة واليد الثابتة والرجولة الحقة[1]

عمد محمد بشير بويجرة على إبرام حوصلة إشكالية بناء شخصية الأمير عبد القادر وترسيمها عبر أربعة ارتكازات وهي ولادته في أسرة شريفة ومتمكنة من ناصية العلوم الشرعية ومنتسبة إلى الطريقة الصوفية ′ ، حيازته على ملكة التفوق والذكاء والكمال الجسماني ، وثالث الارتكازات ′ إشباع كل ذلك بالاطلاع عن تجارب الأمم والشعوب إما بصفة مباشرة مثل رحلاته المختلفة للحج مع أبيه أو بمفرده ′ أو بصفة غير مباشرة مثل قراءات كتب التاريخ والفلسفة والجغرافيا ′ أما رابع الارتكازات فيتمثل في تلك الحالة المزرية التي عاشها الأهالي في المناطق النائية من دمار في المباني ′ وإتلاف المحاصيل الزراعية ′ أو من قتل للعلماء[2] .

يرى محمد بشير بويجرة أن من أهم مميزات شخصية الأمير عبد القادر هو جمعه في معاملاته بين الشجاعة والتروي بين الإقدام وحسن التقدير بين الغلظة والقتل داخل رمى المعارك والرحمة والشفقة خارجها ولعل قصيدته الشعرية التي تحمل عنوان " تسألني أم البنين " تدل على كرمه ورحمته[3] .

---

[1] المصدر نفسه ص 32

[2] المصدر نفسه ص 33 - 34

[3] المصدر نفسه ص 35

ثانيا . المبايعة بين القساوة والمفاجأة

شرح لنا الدكتور محمد بشير بويجرة كيف أن لواقعة " المبايعة " دور كبير في بناء شخصية الأمير عبد القادر وذكر المعطيات الأساسية لتلك المبايعة " المفاجأة –مجموعة الخصال والالتزامات ′ صغر السن ′ حداثة العهد بالحياة ."

1 . المبايعة تأسيس الكينونة ومفاجأة المأساوي :

يرى محمد بشير بويجرة أن واقعة " المبايعة " وحيثياتها كانت ذات مرجعية أساسية وذات بعد عميق في بناء شخصية الأمير عبد القادر في بلورة موقفه من الحياة إن وجوديا /ماديا / أو روحيا / أيديولوجيا ′ وخاصة بعدما تيقن من إصرار القبائل والأعراش والعلماء على مبايعة والده ."الشيخ محي الدين "′ وعندما عاين تخاذل بعض سلاطين وحكام المسلمين من الاستجابة لدعوة النجدة والإغاثة التي أطلقها هذا الأخير ′ وبعد أن شاهد بأم عينيه تفشي الفساد والهجمات المتكررة من الجنود الفرنسيين المعسكرين في مدينة وهران وبعد أن استمع لوالده وهو يقول لشيوخ الأعراش ورؤساء القبائل والعلماء " ولدي عبد القادر ′شاب تقي ′ فطن ′ صالح لفصل الخصوم ومداومة الركوب ′ مع كونه نشأ في عبادة ربه ولا تعتقدوا أني فديت به نفسي′ لأنه غصن مني ′ وما أكرهه لنفسي أكرهه له " .[1]

كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حين ترك الأمر شورى بين سنة الخلافة **...." ألا إن ولدي عبد الله لا دخل له في الولاية ′ إنما له الكلام في المشورة فقط "** ′ حسب الخطاب أن يعذب منهم رجل واحد يعني نفسه رضي الله عنه .[2]

تتمثل المعطيات الأساسية للمبايعة حسب الدكتور محمد بشير بويجرة فجمايلي :

أ . المفاجأة :

إن حادثة المبايعة في حد ذاتها تعتبر من أهم الأحداث التي ربما خلقت في نفس الأمير شيئا من القلق والاضطراب نظرا لثقل المسؤولية و عظمتها ′ ولعل أبسط فكرة دارت في جنده هي

[1] المصدر نفسه ص52

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 53

كيف سيوقف غلول وزحف الجيوش الفرنسية التي يقودها جنرالات مدججة بأرقى أنواع الأسلحة بمجموعة رجال لا عدة لهم ولا خبرة ؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة [1]

ب ـ صغر السن /حداثة العمر بالحياة :

إن الاسئلة السابقة الذكر يمكن أن يقل تأثيرها أو ينتهي تماما إذا ما اعترضت شخص ذا تجربة في الحياة وله باع طويل في العلاقات الإنسانية ومثل هذه الأسئلة قد فرضت على شاب لم يتجاوز سن العشرين فالمسألة بدون شك تصح بالهول والضخامة وتبعث القلق والحيرة [2]

ت ـ مجموعة الخصال والالتزامات :

ذكر محمد بشير بويجرة فيها مجموعة خصال الأمير عبد القادر وتلك الخصال قد ذكرها والده الشيخ محي الدين وهي الفطنة والمداومة على الكفاح والنضال والقدرة على المشاق والتعب والسهر على أن يكون أبا للصغير وولدا للكبير وأخا للنظير فالأمير الشاب عبد القادر لم يستشر بل بمجرد ما انتهى الأب من اقتراح المبايعة والتعهد هرعت القبائل والعشائر في مبايعته ولم ينتظروا رأيه أو موافقته أو على الأقل تعديل بعض بنود هذه الالتزامات .[3]

2 ـ رهانات المبايعة ' إكراهات الحرب والبحث عن كوة الشعر:

يرى محمد بشير بويجرة أن ذلك الزخم النفسي الذي أحدثته المبايعة بتجلياته الإيجابية والسلبية قد بعث قدرة فائقة على القيادة وعلى إرساء مبررات الزعامة في وقائع يوميات وتحوم شعر الأمير عبد القادر ' ولعل أرقى مستوى يمكن أن يبرز فيه كل ذلك هو تلك المجموعة من ردود الأفعال التي كانت تعقب مباشرة كل انتصار في معركة أو عقد معاهدة إن على المستويات الديبلوماسية الرسمية أو على المستويات الشعبية .[4]

فكان الأمير يكتب الشعر في حالات الانتصار أو الافتخار بأبطال العرب وشجعناهم ' أو في رواياته في المراتب والمراحل التي تمر بها النفس ' وعلى الرغم مما يقال عن شعر الأمير في صورة أراء متناثرة لا ترقى إلى مستوى الدراسة الأكاديمية الجادة فإن محمد بشير بويجرة يرى بأن لشعره اعتبارات مختلفة ومضامين ودلالات خاصة ومتميزة ترتبط بالعصر وبالمعرفة السائدة

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص 54

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 55

[3] المصدر نفسه 189 - 190 55

[4] المصدر نفسه 189 - 190 ص 58

فيه وبالبعد الاستراتيجي الذي كان الأمير قد رسم ملامحه وأقر بفعالياته ′ يقول في مطلع قصيدته **"يتيه بدله عمدا "**[1]

أود بأن أرى ظبي الصحاري * وأرقب طيفه والليل سار**

تشكل هذه القصيدة حقيقة نفس الأمير وذاته المساوات عنهما .

نأخذ هذا البيت كنموذج من شعر الأمير عبد القادر

وهذا الظبي لا يرعى ذماما * ولا يرضى مؤانسة الجار**

إن **"ألزمهم " و" الجار"** المذكورتين في البيت يبدوان للكاتب محمد بشير بويجرة ضعيفتي القرابة أو الصلة بتيمة العشق والهيام والحديث الوجداني بل يجدها ذات التصاق والتفاف قويين بالعلاقة الإنسانية التي نصت عليها النصوص الشرعية في **"أهل الذمة " وحقوق الجار** .[2]

3. الشعر معطى إيديولوجيا ... للتعبير عن هموم الذات :

لقد نقلت المدونات أخبار الأمير بأنه كان يتعاطى مجموعة من الآليات المساعدة على أداء دوره في المقاومة والنضال على أحسن وجه وبنجاعة كاملة مثل الخطابة والفتاوى والمراسلات وصياغة المعاهدات وكذا نظم الشعر وتشجيع الغير على نظمه وعلى بثه بين الناس واعتباره خطابا أساسيا في التعبير عن احتياجات النفس والحال ′ ويرى محمد بشير بويجرة أن الأمير لم يبق القول الشعري في مجال التعبير عن الهموم الذاتية المحض بل زوده بمحمولات إيديولوجية واستراتيجية تجاوزت به المفهوم الكلاسيكي للشعر نحو مفهوم جديد له يتماشى مع مقتضيات الحال ومستجدات العصر ′ وذلك يتجلى في قصيدة " **بنا افتخر الزمان "** حيث لاحظ محمد بشير بويجرة أنها تحمل دلالات أعمق وبعدا أوسع لرسالة القصيدة وخاصة قوله :

إنها تواني الغير عجزا * فنحن الراحلون لها العجال** [3]

التي يبدو ضمير الجمع فيها "نحن " ضاما البعد الإيديولوجي للكينونة العربية التي من صلبها ....الشجاعة و الإقدام وسرعة الاستجابة لدفع المكاره ونجدة المستغيث .

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص60

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 63

[3] المصدر نفسه 189 - 190 ص 66

ومن خلال الكثير من المعطيات وما ورد في المدونات اعتبر محمد بشير بويجرة أن شعر الأمير ينتظم ضمن إيديولوجية كاملة متكاملة متجددة وتطمح إلى التجديد في كثير من الرؤى والمناهج وفي الأساليب ′ كما تعتمد أسلوبا واحدا وآلية واحدة في خوض غمار الحياة وفي عمارة البلاد والوطن وفي لفت انتباه العباد [1].

ثالثا: التجلي الشعري و أبعاد التجاوز.

وفق ما تم استخلاصه من المدونات السابقة ومن الفصول السابقة فإن الأمير ترك مدونة شعرية تصلح للمدارسة وللقراءة والتحليل والتأويل وفق المعطيات التالية :

1. شبقية المضمون وهاجس المعاينة :

كانت كينونة الأمير عبد القادر ممتلئة ومتخمة بالأحداث والوقائع ′ ومعلوم عن المستقلين على الحقول الأدبية . أن مثل هذه الظاهرة تجعل الحقل الأدبي و.....المراد التعبير به عن هذه التخمة أو هذا الشبع التجاري قد يؤدي إلى نوع من اللا توازن ويساهم في خلق تفاوت بين الشكل والمضمون وهذا ما تتضمنه مدونات الأمير عبد القادر [2]وتشتمل دواوين الأمير عبد القادر على جميع الأغراض الشعرية وفق ما ينسجم مع قناعاته ورؤياه الفنية .

أ. الفخر:

إن الفخر كغرض شعري يتبوأ مكانة متميزة في المدونة الشعرية العربية الكلاسيكية كما هو معلوم عند أهل الاختصاص ′ وهذا الفخر عند الأمير عبد القادر قد يحتاج إلى وقفة متأنية بسبب كون الأمير صاحب ثقافة شرعية ويعرف جيدا أن الفخر هو ضرب من التفاخر والتعالي عن الغير وهي صفة مذمومة .[3] يذكر محمد بشير بويجرة بعض القصائد المصنفة ضمن غرض الفخر في ديوانه وهي مرتبة كالآتي : "**وراء الصورة ""أبونا رسول الله ""بنا افتخر الزمان ""لبيك تلمسان" "بي يحتمي جيشي ""ما في البداوة من عيب" "شددت غليه شدة هاشمية"** خمسة من البحر الطويل وواحدة من البحر الوافر وهي "**بنا افتخر الزمان** " وقصيدة واحدة من البحر البسيط .[4]

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص72

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 79

[3] المصدر نفسه 189 - 190 ص 81

[4] المصدر نفسه 189 - 190 ص 82

ب. الغزل :

إن من يدرس حياة الأمير في طفولته ويتمعن في تفكيره ويتابع مراحل تعلمه قد يستبعد غرض الغزل عن شعرة نهائيا لأن تكوينه الأول كان ينأى به بعيدا عن هذا الغرض ′ ثم إن نسبه الشريف قد يقلل من نسب إمكانية الخوض فيه .[1]

وبالنظر إلى موروث الأمير الشعري فإن محمد بشير بويجرة يرى بأن الغزل كان أوفر حظا وأبرز من بقية الأغراض الشعرية الأخرى وأصدقها تعبيرا عن كينونة الأمير وإنسانيته وعن رقة شعوره ة إحساساته .[2]

ذكر محمد بشير بويجرة بعض الدواوين التي يتوفر فيها هذا الغرض الشعري وتتمثل في ما يلي **"دموع ونار""يلقياكم ""يتيه بدله عهدا" "بنت العصر" "جودي بطيف ""فر اقك نار "أرضى بطيف خيال" "ذات خلخال ""ليس للحب دواء" "بالحظ تخدش وجنة "**

هذا الموروث الذي ينبئ حقا عن شخصية أخرى للأمير شخصية راقية الحساسية وذات تقدير عال جدا للمرأة وللحب والجمال حيث يقول :

وتهجرني بلا ذنب تراه * فظلمي قد رأت دون العباد** [3]

يرى محمد بشير بويجرة أن الأمير عبد القادر بالرغم من معايشته لفترة مليئة بالتخلف وبانعدام ثقافة تشبه فهمه الثقافي والعلمي والجمالي ′ فإنه كان أجدر منها وأقدر شعرائها فاستطاع التصريح بهواجس نفسه وبرؤاه عن الجمال وفي علاقة الرجل بالمرأة وفي التعبير عن كل ما يجول في ذهنه وداخل عواطفه دون رقابة أو ذنب يشعر به تجاه أي أحد .[4]

2. المجاملات والمعاملات :

بما أن الأمير عبد القادر قد تجاوز حدود الذاتية الغنائية وبادر إلى فتح أفاق التعبير عن رؤية الاستراتيجية ′ إذ على المستوى العسكري أو المستوى السياسي أو على مستوى العلاقات الإنسانية والعاطفية ′ فإن شعره كان واجهة وخطابا يشكلان مصدر أساسيا في بناء علاقات متعددة وثرية مع شريحة اجتماعية من الجزائر أو مع بعض الأعلام و الملوك والسلاطين في

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص 90

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 91

[3] المصدر نفسه 189 - 190 ص 92

[4] المصدر نفسه 189 - 190 ص 94

العالمين العربي والإسلامي ′ ناهيك عن إعجاب الكثير من طبقات النبلاء والأمراء والملوك في فرنسا وفي العالم الغربي بصفة عامة .[1]

ولقد ساهمت هذه العلاقات في تبادل المجاملات أثناء المناسبات أو تبادل بعض الأراء في بعض القضايا التي كانت تشغل الرأي العام حينذاك ′ أو في شكل أسئلة توجه للأمير تحت غطاء كثير من المقاصد[2].كل هذا الزخم من العلاقات بعضها عفوي وبعضها الآخر قد ساهمت بقسط وافر في دفع الأمير إلى نظم مقاطع أو قصائد شعرية للرد أو للمساهمة في نقاش أو للتهنئة أو للتعبير عن إعجاب أو لرفع لبس أو للرد على تهمة مثل "**باللحظ تخدش وجنة** " ومثل مقطوعة، "**متى يتقلب نحسي**، "التي بعث بها الأمير إلى كاتبه "**قدوربن رويلة** " وهو في المدينة المنورة ′ وقصيدة "**أهلا بالحبيب** " التي استقبل بها "**محمد الشاذلي القسنطيني** " حينما زاره في سجن "أمبواز" أو مقطوعة "**أنا مخلص للود شاكر**"[3]

ذكر محمد بشير بويجرة بعض الأبيات الشعرية لقصيدة "**الباذلون نفوسهم** "

ياأيها الريح الجنوب تحملي * مني تحية مغرم وتجملي**

و اقرالسلام أهيل ودي و انثري * من طيب ما حملت ريح قرنفل** [4]

يلاحظ في هذه القصيدة بناء تراجيدي يحكم العلاقة بين القائد وجنوده .

3.التصوف :

كان وهج التصوف عند الأمير عبد القادر وهو ابن الطريقة وابن زاويتها ′ قد شبع كثيرا من .....و الثراء في تجربته الشعرية والصوفية معا مما أهله لأن يبني رؤى جديدة في قيمة التصوف وأن يفتح في محيطه الرحب توهجا مستحدثا يبنى على " العزلة " و" الاختلاء" ابتداءا ثم يعود إلى ابتكار منهج يمزج بين " التنسك والتعبد " بنفس القدر والعزيمة على إبقاء الاتصال والحفاظ عليه مع المحيط ومع الواقع ′ رغبة منه في خلق مفهوم " التوازن " في التجربة الصوفية . [5]

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص 95

[2] المصدر نفسه ص96

[3] المصدر نفسه ص 97

[4] المصدر نفسه ص 98

[5] المصدر نفسه ص 100

يرى محمد بشير بويجرة أن الأمير كان يؤمن إيمانا عميقا بل وأساسيا في جعل التصوف نهجا من أنهج النضال والدعوة التي تفشي الحسن والعدل والنية الحسنة بين بني البشر كيفما كانت ديانتهم وعقائدهم[1] ' وقد قيل عن الأمير عبد القادر **" لقد نجح عبد القادر في تحقيق أعلى المراتب الدينية التي تعتبر أساسية وجليلة بعد عمل شاق و إنكار طويل للذات ..... إن دوره كما هو معروف لدى الخاص والعام ليس له مضاه في أخبار الرجال العظماء غير العاديين لظهوره المفاجئ غير المتوقع ولتنوع مراحله وغرابتها ' ولأطوار تطوره غير المنتظرة ' فلم يكن هناك دور أكثر نموذجية للغز الوجود الانساني ' ولا أكثر تعبيرا عن حقيقة قوله الرجل الحكيم حين قال : إن رحيل الإنسان من أمر الله فكيف إذن للإنسان أن يفهم طريقه ؟"** [2] **واعتبر محمد بشير بويجرة أن قصيدة " أستاذي الصوفي "** من أبرز وألمع قصائده في التصوف وأعمقها وأرقاها فيما أجادت به من ربط لحياته وتجربته بمعلمه وأستاذه في هذا الميدان وبالفضاء المقدس مكة المكرمة والمدينة المنورة وغار حراء الواهب الأول لقيم تجربة الاختلاء والعزلة .

رابعا: : الوعي باستراتيجية النص الشعري أو بوادر الريادة

تطرق محمد بشير بويجرة في هذا الفصل إلى موقع شاعرية الأمير عبد القادر من الشعرية العربية ' بحيث أنه أحدث ثورة شعرية كبيرة في ذلك الزمن وقد حرك جوهر الكينونة العربية الإسلامية وحتى محيطه الذي كان يعيش فيه، فبالرغم من صغر سنه إلا أنه تفوق على جنرالات فرنسا واستطاع أن يفرض شعرا يظاهي فحوله الأوائل ' وقد تغلب بشعره على كل تلك الصعاب والظروف القاهرة والمشاكل الطبيعية والبيئية .

كما ذكر محمد بشير بويجرة أيضا إضافات الأمير عبد القادر في الشعرية العربية ويمكن استخلاصها فيما يلي :

1 ـ التعبير عن المعاش وعن التجربة :

حيث نجد في شعر الأمير خروج عن المبتذلات الشعرية لعصره حيث نحس ونشعر ونلمس لدى الأمير شبقية ورغبة جامحة في مداهمة عرين الفصاحة العربية وفي ارتداء حدائقها الغناء بغية جعل شعره معبرا عن كوامن نفسه وعن واقع حال الأمة والوطن ' حيث يرى محمد بشير

[1] المصدر نفسه ص 101

[2] المصدر نفسه ص 102

بويجرة أن قصيدة "عذاب الأسر " ملتصقة بتجربة السجن وهي حالة من الحالات التي عاشها وعايشها مع الكثرين من أبناء وطنه أثناء فترة المقاومة أو بعدها حيث يقول في مطلع القصيدة :

ماذا على سادتنا أهل الوفا * لو أرسلوا طيف الزيارة في خفا**[1]

حيث كتبها الأمير وهو في السجن يعاني العزلة ويقاسي هموم البعد والاشتياق وما لفت انتباه محمد بشير بويجرة في هذه القصيدة هو كأن إحساس الأمير بالعلو ورفعة الشأن قد تراجع كثيرا في شعوره ′ وفي نفسه ′ بل وفي كينونته الداخلية ′ ولعل ذلك كله يتجلى في توظيفه لكلمة **"سادتنا " و" في خفا "**

و" الزيارة خفية " ثم في قوله :

ما بالهم يا صاح لم يتذكرو* صبا كئيبا في المحبة مدننا**

فطرح محمد بشير بويجرة سؤالين أين هو ذلك البطل الذي أخاف جنرالات فرنسا ؟ وأين هي تلك النفس المعتزة بقواها وإمكانياتها ؟ [2]

2. التأسيس لفكرة البطل الإشكالي :

لقد رأى الدكتور محمد بشير بويجرة أن لكل أمة بطل يتحلى بمجموعة من المواصفات ولقد أثرت هذه المواصفات على العقيدة الإسلامية في الذاكرة الشعبية وفي المدونات التاريخية مما جعلها تشكل رافدا قويا ومهما في الرؤية إلى البطولة وفي شروط البطل الذي يجب عليه أن يتبع ..... من السلوكيات والأخلاق حتى إذا تعلق الأمر بعواطفه الذاتية [3]′ ويرى محمد بشير بويجرة بعد تقربه من شعر الأمير عبد القادر أن لدى الرجل رؤى وأبعادا جديدة تتجاوز المعايير التقليدية للبطولة حين رسمت أشعاره بطولة تتميز باحتكاكها المباشر بالإنسان الواقعي الذي تجتمع عليه بوادر القوة وشدة البأس تماما كما تتعود نفسه وجوانبه غرائز شتى كنوازع الخير والشر والشجاعة، والخوف والبطش، أمام العدو، واللين والعنف في مواجهة ذات الخمار .[4]

ذكر محمد بشير بويجرة نموذج الإثراء هذه الفكرة فيمكن مقارنة قصيدة الأمير عبد القادر المعنونة "بي يحتمي جيشي " التي تجتمع فيها بنفس القوة وبنفس الوتيرة ′ صفتان

---

[1] المصدر نفسه ص 141

[2] المصدر نفسه ص 143

[3] المصدر نفسه ص 144

[4] المصدر نفسه ص144

متناقضتان هما الشجاعة والشدة والقوة مقابل اللين والإحساس بالضعف والرقة " أمام أم البنين " حين يقول :

تسألني أم البنين وإنها *** لأعلم من تحت السماء بإخواني [1]

وحسب محمد بشير بويجرة فإذا كان نص " بي يحتمي جيشي " وغيره من نصوص الأمير عبد القادر الشعرية قد استطاعت أن تتغلغل إلى عمق ذاته قصد الكشف عما يعانيه من حرقة وقلق وإحساس بالظلم وبالإحباط والغبن . وما يتباهى به من شرف النسب وشجاعة في المعارك وشهامة في المعاملات والسلوكيات وما يقاسيه في السجون وفي الإقامات الجبرية ′، فإن ذلك كله يدخل ضمن إضافات جديدة في إيديولوجية القصيدة العربية الحديثة وتيماتها[2]

3. التأسيس لفكرة وجود الأديان والحضارات :

لا شك بأن الغزو الفرنسي للجزائر لم يكن شبيها لغزوهم لمصر سنة 1798 م ′ فالغزو الفرنسي للجزائر جلب الدمار والقتل والحرق وإتلاف المكتبات ومراكز العلم وتقتيل العلماء وحرق المزارع وتدمير كل المنشآت التحتية الخاصة بالزراعة أو بالمواصلات وبكل ما من شأنه أن يسهل الحياة للمواطن الجزائري .[3]

ووفق كل هذا كان من الطبيعي أن ينظم الأمير عبد القادر شعرا فيه الإساءة إلى سمعة فرنسا ومؤسساتها أو إلى الدنس المسيحي أو يتجاوز أساليب اللياقة على الرغم من أنه كان يعرف بأن ما تقوم به الجيوش الفرنسية هو غزو الصليبين ′ وتجاوز صارخ للمبادئ الإنسانية ′ لكنه لم يفعل ذلك بل لم يذكر فرنسا إلا بكلمات لطيفة مهذبة تدل على رفعة الخلق وعلى مستوى تهذيبي وحضاري راق جدا مثل قوله [4]

وعني سلي جيش الفرنسيس تعلمي * بأن منا ياهم بسيفي وعسالي** [5]

أو قوله :

عدونا ماله ملجأ ولا وزر* وعندنا عاديات السيف والضفر**

---

[1] المصدر نفسه ص145

[2] المصدر نفسه ص 147

[3] المصدر نفسه ص 148

[4] المصدر نفسه ص 148

[5] المصدر نفسه ص 149

أموالي أعدائنا في كل آونة * تقضي بقسمتها بالعدل والقدر**[1]

فإن كلمات " الفرنسيس " و" عدونا " و"أعدائنا " كلمات يقصد بها الغزاة الفرنسيين وهي كلها تراكيب لغوية ذات مسحة حضارية .[2]

كما أن الأمير يقصد إلى وصف التلاحم التراجيدي أثناء المعارك بينه وبينهم فاستعمل في الغالب الأعم ′ ضمائر الجمع أو المفرد الغائب مثل " أرميهم " و" بي أحدقوا ا" و" منياهم " وعليه " " رميتهم " ولم يستعمل أبدا كلمات أو مصطلحات جارية ومسيئة ′ كما أن محمد بشير بويجرة يرى أن مواقف الأمير عبد القادر مع معتنقي المسيحية واليهودية معروفة في كتب التاريخ ′ لعل من أهمها وقوفه إلى جانب المسيحيين في فتنة الشام التي وقعت سنة 1860 م ′ والتي جمع فيها المسيحيين وجعل عليهم حراسا من رجاله خوفا عليهم من القتل وتذكر المدونات التاريخية أنه أسند نظارة الشؤون الخارجية إلى " ميلود بن عراش " وهو يهودي الديانة ′ ومعلوم عنه أيضا كان يستعين في صناعة الأسلحة بتقنيين ومهندسين من إيطاليا وصقلية ذوي ديانة مسيحية[3].

كل ذلك حسب محمد بشير بويجرة لم يكن اعتباطيا بل كان سلوكا مدروسا يؤسس لعلاقة جديدة بين الديانات الثلاثة " الإسلام والمسيحية واليهودية " في حوض البحر المتوسط وفي العالم . مما جعله يجتهد إخفاء تلك المصطلحات والثوريات الكلاسيكية التي كانت تتداول بين القادة العرب المسلمين وبين غيرهم من قادة الجيوش المسيحية أو بين زعماء الديانات الثلاثة . كما يبدو لمحمد بشير بويجرة وهو ينتقض الأبعاد الجمالية والإنسانية في تيمات الأدب الوقوف عند هذه الملاحظة لأنها تبنى لرؤية إيديولوجية واستراتيجية معا لمستقبل علاقات سكان الحوض المتوسط ′ رؤية تحاول أن تتجاوز ذلك التنابز والأحكام العاطفية العنيفة التي قد تساهم بقوة في نمو التطرف والانغلاق والأحادية في رسم معالم الذات والوطن والمنطقة ثم العالم وهي سلوكيات كلها تساعد على نشأة الديكتاتوريات والعصبيات مثل ما كان مع الحربين الكونيتين ومثلما هو حاصل الأن.[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 149

[2] المصدر نفسه ص 149

[3] المصدر نفسه ص 150

[4] المصدر نفسه ص 151

4. احتفاء البعد الاستراتيجي على تيمات الشعرية العربية :

يرى محمد بشير بويجرة أن شعر الأمير عبد القادر لم يأت لإشباع غريزة أو إطفاء نزوة بل كان ليرسم ويعاين حالات وأوضاع تهيمن عليها السلبية وتضفي عليها التواكلية ' قصد إنجاز أوضاع أخرى قد تتقشع فيها ومن حولها غيوم السلبية لتتسلل من مسامها نسائم الحداثة والجمالية ' حتي باتت قصائده كلها لا تترك شيئا ذا أهمية إلا وخاضت فيه . وتناولته ' ولعل أدلة ذلك نجدها في ديوانه الذي لا تخلو فيه قصيدة واحدة من الإحالة على المناسبة التي قيلت فيها[1] كم أن محمد بشير بويجرة قد وجد شعر الأمير ظاهرة فريدة تعب وترصد ما نتعايشه اليوم تحت مصطلح **"التناص"** إن على مستوى التيمات ' أو على مستوى النيات ' حين نقع على كثير من محاورات الأمير عبد القادر مع لوامع الشخصيات سواء كانت محاصرة له أو بواسطة ما خلفته من تراث فكري أو فني مثل محاورته **" عنترة بن الشداد العبسي "** بقوله:

إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحما * أقول لها صبرا كصبري وإجمالي**

فيما قاله عنترة :

فأزور من وقع الفتا بلبانه * وشكا إلي بعبرة وتحمحم** [2]

كما يرى محمد بشير بويجرة أن ذلك الزخم من البوح الشعري يدل على أن الأمير لم يكن يهتم من غرائزه وعواطفه فقط لإيداع قصائده ' بل كانت له رؤية أوسع وأشمل يتتبع ويعايش بها ومن خلالها وقائع الوطن ومصائر الأمتين العربية والإسلامية .[3]

5. الريف والمدينة ' جذور المفارقة :

يكاد الفكر الإنساني يجمع على أن هناك علاقة تداولية بين فضاء الريف فضاء المدينة عبر التاريخ فحيثما كانت المدينة كان النظام وكانت العلاقات بين السلطة والأفراد تحتكم إلى قوانين مدنية تتميز بالتطور والتغير والإثراء، وحيثما وجد الريف كانت تلك العلاقات تخضع لمعايير قد تساهم في تنمية وفي توفير السلوكيات الانفرادية والقبلية الضيقة أو الفكرية على أساس العروشية وذوي القربة .[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 152

[2] المصدر نفسه ص 154

[3] المصدر نفسه ص 155

[4] المصدر نفسه ص 160

يرى محمد بشير بويجرة أن هناك تكريس لمبدأ التضاد والتنافر بين الريف والمدينة من طرف "إنجلز" ومن طرف الأغلبية الساحقة من المعنيين الفرنسيين بمنطقة الجزائر حين أصر الأول على أن يصف هذه المنطقة وساكنيها **"بالبدو" و" الهمج " و"الإقطاعي "** و" وقطع الطريق " على الرغم من هذا الرجل كان ضمن عصبة المدافعين عن البروليتريا وعن العمال وعن الشعوب المضطهدة من أصحاب رؤوس الأموال . وحين رفض الآخرون أن يكون سكان هذه المنطقة قد شكلوا في يوم ما ′ شعبا أو أمة أو حتى مجتمعا متماسكا ′ حاذفين من تاريخ المنطقة مدن وحضارات شهر بها العالم ودونتها كتب التاريخ والحضارات مثل تلمسان ووهران والجزائر ′ وقسنطينة وتيهرت وبجاية ′ وغيرها من المدن والحواضر التي بها شأن في التاريخ ومازالت الذاكرة التاريخية العالمية والرحلات والسير تحتفظ به إلى اليوم وسيبقى خالد إلى يوم الدين .[1]

اعتبر محمد بشير بويجرة أن قصيدة " ما في البداوة من عيب " للأمير عبد القادر تمثل صيغة جديدة لحرب دائمة بين **" الأنا والأخر"** حرب نفسية يحاول الفرنسيون فيها ترسيخ الأفكار التي يعتقدونها حول الأمة الجزائرية وتاريخها وعقيدتها وحضارتها ′ ويجد الأمير ويتعهد بعدم الاستسلام في الحرب التي بدأها منذ المبايعة ولن يجعلها تضع أوزارها مادام حيا ′ لأن الأمير يعرف معرفة جيدة بأن سؤال الفرنسين لم يكن القصد منه المعرفة المحض ′ بل سؤالهم فيه غمز ولمز في شخصية الأمير وفي عقيدته وفي بيئته وفي مرجعيته الحضارية .[2]

خامسا: إحياء حداثة ومعاصرة رسم لمعالم المستقبل في شعرية الأمير:

من خلال كل ما تقدم يمكن القول بأن شاعرية الأمير وشعره يمثلان ′ مقارنة مع ما كان متوافر في عصره نقلة جادة ورؤية واعية بالميكانيزم الشعري وبفاعليته ضمن المنظومة المعرفية البانية لمقومات الشخصية الوطنية والموحية بضرورة ربط البوح الشعري بمسوغات العصر المساوق لهذا البوح ، والداعية إلى الرمي بهذا البوح في أتون الذات المبدعة مع منحها أكبر قدر من الحرية بغية السباحة في تلافيف الذات وفي غسق العاطفة والغريزة من أجل تجاوز أسانة الراهن وجاهزية المتداول ورتابة الكينونة[3] .

[1] المصدر نفسه ص 162

[2] المصدر نفسه ص 165

[3] المصدر نفسه ص 177

ويرى محمد بشير بويجرة أن هذا التوجه يتململ بين صياغات ثلاثة حسب العصر وحسب الأدوات النهجية والمبتغيات الفكرية والنقدية والجمالية المتداولة فيه هي : الإحياء ′ الحداثة ′ المعاصرة .

1 ـ إحياء حداثة ومعاصرة رسم العالم ومعاصرة :

أ ـ رسم لمعلم كينونة الذات :

يرى محمد بشير بويجرة أن شعر الأمير كان إحياء لوح وشكل القصيدة العربية القديمة وكان معاصرا لواقعة ولما كان يتميز به من تهلهل وضعف في الإبداع الشعري وفيما واكب به من وصف دقيق وتعبير ملم بكل ما ألم به هو وبأمته ووطنه من محن وفجائع فاستنتج محمد بشير بويجرة أن لبوس ذلك الإحياء وفسيفسائه لم يكن بنفس المواصفات والخصوصيات الموضوعاتية التي اتسمت بها القصيدة العربية القديمة.[1]

وللاستزادة من صقل معايير الحداثة والمعاصرة في شعر الأمير اقتصر محمد بشير بويجرة على قيمتين رآهما أساس الحداثة والمعاصرة لأن لهما تأثير وفعالية في صنع الحدث العالمي والعربي ويتعلق الأمر بـ: [2]

ب . حوار الحضارات والأديان :

إن هذه القيمة مستخلصة من تجارب الأمير ومواقفه ومن سلوكيات يومياته ومن فهمه للإسلام ولمبادئ السمحة ′ وذلك استخلاصا مما قاله في بعض رسائله بصيغة مباشرة أو ضمنية بأن : **" الدين واحد ولو يعزني المسلمون والمسيحيون انتباههم لقضية على اختلاف وجهات النظر بينهم ′ ولغدوا إخوة في الداخل والخارج ."**[3] فيبدو له محمد بويجرة أن الأمير يكبر ويقدر المواقف الإنسانية التي ترفع شأن الإنسان الذي ميزه الله سبحانه وتعالى بالعقل حيث يقول **"إعلم أن أشرف الخواص التي تميزبها الإنسان عن الحيوان هو العقل ".**[4]

يرى محمد بشير بويجرة لم يكن منغلقا على نفسه ومنقطعا عن الناس ′ بل كان منفتحا أشد الانفتاح على الناس وعلى العالم ′ربما بسبب حب أبيه له لما توسمه فيه من ذكاء واتزان

[1] المصدر نفسه ص 178

[2] المصدر نفسه ص 179

[3] المصدر نفسه ص 180

[4] المصدر نفسه ص 180

في الشخصية ورجاحة في العقل حتى كان يصطحبه معه في كل تحركاته ورحلاته ′ومن أهم هذه الرحلات رحلة الحج التي اكتشف فيها العالم العربي عواصم وأماكن وجامعات ورحلات الدين والدولة حتى ذكرت إحدى المراجع بأن الأمير عبد القادر عندما زار **"الإسكندرية "**بمصر في طريقه إلى الحج **"دهش من تنوع السكان وثرواتهم وغمر علماء المدينة الذين استقبلوه بالأسئلة التي قصرت من جلسات المجاملة والملاطفة فنفاذ صبره و انفتاح شهيته على المعارف كانت تثير ابتسامة أكثر من شيخ عجوز تحت نظرة والده المتواطئة .....**

مختلفين عن يهود المغرب لكنهم مشابهون لهم , ومسلمون من مدارس أخرى, وبأقباط خاصة وعرب ومسيحين وهذا ما أدهشه كثيرا "[1] .

وبالنظر إلى كل ما ذكر في الفصول السابقة فإن محمد بشير بويجرة يتصور بأن الأمير كان يختزل منظومة معرفية ومعتمدا على استراتيجية دقيقة في تجاوزه لعقبات كينونته ولمثبطات غرائزه معرفة كاملة وشاملة لتلك العلاقة المتوترة بين المسيحية والغربية والإسلام .[2]

ت . قيمة الريف والمدينة:

يرى محمد بشير بويجرة أنه من خلال الوقوف عند قراءة قصيدة **" ما في البداوة من عيب "**

فإنها تؤكد على تلك المفارقة بين الريف والمدينة حتى وإن كانت محسوسة لدى كثير من الأدباء والمفكرين والمؤرخين وخاصة منهم **"ابن خلدون "** فاعتقد محمد بشير بويجرة أن المستعمر الغربي قد رسخ لهذه التباين وأسس له مما يؤكد أن الأمير بطرحه لهاذه **"القيمة "** للغرض الشعري كان واعي بخطورتها وأساسيتها ومقصديتها ′ مما دفع محمد بشير بويجرة إلى القول بأنه يمكن أن تشكل له هذه القيمة بؤرة الفساد وبذرة الانفصال الذي حدث في عهد الأتراك بين الريف والمدينة التي كانت فيها قصورهم وبيوتهم ′ ومازال يحدث حتى الآن في عصرنا الحالي .[3]

اقترح محمد بشير بويجرة علاقة وئام وتناغم بين الريف والمدينة في الفضاء العربي ′لأنه الوسيلة الناجعة لإعطاء فعالية لميكانيزمات التحديث والمعاصرة للدولة الحديثة التي يجب أن

[1] المصدر نفسه ص182

[2] المصدر نفسه ص 184

[3] المصدر نفسه ص 188

تعتمد على إنتاج احتياجاتها من صناعة وتأهيل ودفاع عن الوطن ومن توفير احتياجات المواطن وخلق الرفاهية له .[1]

كما يرى محمد بشير بويجرة أن الريف سيق حياته وبعد وجودي في حياة الإنسان العربي عامة وفي حياة الأمير عبد القادر مما جعله ينظم كثيرا من الأبيات زيادة على **"ما في البداوة من عيب "**

يمجد فيها الفضاء الريفي لكونه يتباهى فيها بخصائص شكلية أو بارتباطه بها عرقيا بل لكونه مرجعية تحمل إيديولوجية كاملة من النظم المعرفية ومن العادات والتقاليد والسلوكيات الممجدة للبطولة والكرم والشجاعة ولاستماتته في الدفاع عن الشرف ' بالإضافة إلى أن هذا الريف وفر الحماية والأمان للأمير وجيشه وكان ميدان مناسب لقهر جيوش الفرنسيين وهزم جنرالاتهم .[2]

2. الحداثة والمعاصرة : بين عبد القادر وللبارودي ؟

عمل محمد بشير بويجرة على توضيح مسألة الحداثة والمعاصرة هل هي للأمير عبد القادر أم هي للبارودي ؟

إن الأمير عبد القادر ولد سنة 1807 والبارودي ولد سنة 1839 مما يدل على تقدم الأمير عبد القادر على البارودي في العمر والتجربة المقاومة والنضال والحياة العسكرية وفي تجربة الإبداع الشعري على وجه الخصوص .[3]

يرى محمد بشير بويجرة أن الأمير عبد القادر ولد في الريف وتربى فيه مما صعب مهمة تكوينه وتعلمه تعليما نظاميا كما شاءت الأقدار أن يفني أجمل أوقات شبابه في الحرب والمعارك حتى وصل إلى السجن والمنفى دون أن يتمكن من صقل موهبته بالاحتكاك بالأصول الشعرية العربية من أساتذة حداثيين ومن مراجع ودواوين لعيون الشعر العربي الفصيح نظرا لانتشار التعليم الديني الذي كانت تنظمه الزوايا .[4] بينما كان البارودي قد **"فتح عينه على هدهدة ربة الشعر وما تثيره بحناجرها حول مهده من حركات تبعث فيه الحيوية والنشاط ...**

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190

[2] المصدر نفسه ص 190

[3] المصدر نفسه ص 192

[4] المصدر نفسه ص 193

وقد كفلته أمه ' وكانت جركسية كأبيه وقام على تربية خيرقيام فأحضرت له شأن أتر ابه حينئذ من ذوي النعمة واليسر من المعلمين كي يؤدبوه ويلقنونه القرآن الكريم وشيئا من الفقه الإسلامي ومن التاريخ ومن الحساب ومن الشعر" ... [1]

وبالنظر إلى تكوين الرجلين يرى محمد بشير بويجرة أن تكوين الأمير عبد القادر كان تكوينا دينيا فقهيا تحت رعاية زاوية وإمكانياتها المتواضعة جدا بيداغوجيا ومنهجيا و عصرنة مما قد يعيق شاعريته ويطمس موهبتيه 'في حين كان البارودي عصريا وحديثا يتعرض فيه الدارس إلى قضايا الجمال والفن في البوح الشعري' مما يساعده على تفتيق العبقرية الشعرية لديه[2] ' ويدفعه إلى الاستعانة بالمصادر العربية التي امتلأت **"حقائبه بتحفها النفسية يعاونه طائفة من النساخ وقد كلف بهذه النزعة من جمع الدواوين المخطوطة 'يجمعها من كل مكان حتى تكونت له مكتبة ضخمة ".**[3]

ذكر محمد بشير بويجرة أن هناك تشابها كثيرا بين الرجلين في رؤيتهما للبطولة وفي إعجابها الشديد بما أبدعته القصيدة العربية الكلاسيكية في هذا الشأن وفي محاولة كل منهما مجاراتها وتقاليدها .[4]

كما ذكر بأن كلا الرجلين جمع بين الروح العسكرية وبين الروح الشعرية ، والأمير أصدق بروح المقاومة وبالحياة العربية وما يعانيه الريف والبادية من البارودي الذي لم يعش فيها لحظة واحدة ولم يعبر عنها رغم ارتباطه بأرض مصر وعلى الرغم من فقده منصبه وحياة البذخ والرفاهية والزج به في السجن وفي المنفى بسبب انخراطه في صفوف فلول الثورة العربية [5].

أما كل منهما قادا معاركا انتصرا في البعض انهزما في البعض الأخر ' وقد خبر الأمير الهزائم عن قرب لأنه كان هو القائد الوحيد يغلب عليها التي تشرف عليها الدولة ذات السيادة ' في حين

---

[1] المصدر نفسه ص193

[2] المصدر نفسه ص 195

[3] المصدر نفسه ص 195

[4] المصدر نفسه ص 195

[5] المصدر نفسه ص 196

كان البارودي قائد كتيبة أو فرقة أو فيلق في جيش النظامي تحت إمرة دولة ذات سيادة ’والفرق واضح بين الوضعيتين والحالتين النفسيتين الناشئتين عن الهزائم والانتصارات وعن مصادر التموين والحماية .[1]

ثم إن كلاهما نفي : الأمير إلى **"أمبواز"** ثم إلى **"إسطنبول "** تم إلى **"دمشق "**

والبارودي إلى **"سرنديب"** وهناك الكثير من العناصر والقضايا التي يشتركان فيها وعبر عنها في شعريهما.[2]

واستنادا على كل ما جاء في هذا الفصل من الكتاب يعتقد محمد بشير بويجرة بأنه فعلا كان للبارودي دورا

أساسيا في الحركة الأدبية وفي سجلات العسكرية وفي التحولات السياسية والاجتماعية في مصر لكن بالصورة المتخيلة والمرسومة في الفقرات التي تم ذكرها في الفصل .[3]

---

[1] المصدر نفسه ص 196

[2] المصدر نفسه ص 197

[3] المصدر نفسه ص204

الفصـــــــــــــــــــــــــل الثـــــــــــــــــــــــــاني :

مـــــن العمـــــق الأميـــــري إلـــــى الأعمـــــاق الموازيـــــة

رحلـــة بـــويجرة فـــي قـــراءة حيثيـــات الجـــوار الصـــحراوي

قـــــــــراءة فـــــــــي كتـــــــــاب

محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع ً قراءة في أوديسا الصحراء " تلك المحبة "

أولا: المتناص والنصية

في بداية هذا النص أشار الدكتور محمد بشير بويجرة إلى رواية تلك المحبة التي سيتحدث عنها في هذا الكتاب وكانت عنصر رئيسي له وذلك لأنها ما أبدعت إلا لإدهاش القارئ أو زعزعة يقينيته أو بث فيروس النحر في ذاكرته التذوقية، وذلك بسبب استنادها علي مخزون الذاكرة الحامل وإعادة تحريكه وإحيائه ومنحه الفعالية التناغمية مع البنية العامة للنص ، واعتمادا على افتراض كثير من التكامل تارة والتنافر تارة أخرى بين مكونات النص في ذاته المكتوب وبين مكونات النص المفترض في ذائقة القارئ.[1]

يري محمد بشير بويجرة أن هذا النص تلك المحبة يجتهد في التملص من إمكانية السرد التقليدية التي تلعب فيها شخصية أو ضمير الراوي أو السارد دورا أساسيا والتقرب من ميكانيزم السرد الممجد لنفي التركيز علي ديالكتيكية الأشياء – المكونات الجغرافية والمخزون الذاكراتي – التي باتت تمتزج مع شخصيات لتطغى عليها .[2]

أشار محمد بشير بويجرة إلى فتح الأندلس في الفقرة القائلة **((كوني لي أندلسا بين توات والقدس)** [3] كما يرى أن قارئ تلك المحبة يلاحظ ذلك التقاطع القوي والجاد بين المتخيل النقي وبين وقائع الحراك الاجتماعي والمكونات البيئية التي دونتها الذاكرة .....′ وخاصة حين نصادف ربطا بين دخول الاعتقادات اليهودية والمسيحية والإسلام إلى هذه المنطقة بسبب ما أصاب الإنسانية من صراعات وحروب وما نتج عنها من هجرات وتشرد طلبا للأمن والأمان مما ساهم مبقسط وافر التأسيس لمشروع حواري بين الحواضر الحضرية العالمية ′ حوار بين ربما قد بدت طلائعه في الفقرة السابق ذكرها [4] لذلك فإن مؤشرات ذلك التقاطع تتمثل في ثلاث كلمات الأندلس، توات، القدس

قام محمد بشير بويجرة بشرح هذه التيمات الثلاثة فهو يري أن فضاء **" توات**ء ذا حمولة هواياتية لمنطقة الجنوب الجزائري وحامية جادة للهوية الوطنية حتى إنها كانت تتناص مع الأندلس وتلمسان وتومبوكتو وكانوا، حتى وهران و(مسرغين) إن توات تخلت عن كينونتها

---

[1] محمد بشير بويجرة . محنة التأويل ′ زخم المرجع وفتنة الواقع قراءة في أأوديسا الصحراء (تلك المحبة).منشورات دار القدس العربي 2010 ص 31

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 31

[3] المصدر نفسه 189 - 190 ص 32

[4] المصدر نفسه 189 - 190 ص 32

الجامدة في " تلك المحبة " وانتمت لفئة بني الإنسان بإحساساتها ومشاعرها وتفاعلها مع الذاكرة ومع متغيرات مصائر السكان الملمين ببعدها اللامتناهي مما جعل النص كله يلاقح بينها وبين الفضاءات المحيطة بها .[1]

أما تيمة **" القدس "** فهي أوسع وأدسم دلالة وأبعد عمقا منها ويمكن الإشارة إليها حين تحولت علي مر العصور والأزمنة من مكان جامد ومادي حامل لخصوصيات تقديسية إلى فضاء عقدة وإيديولوجية حتي يتحرك ويتجدد ويتوالد فيلد معه مزيدا من الحروب والأحقاد والضغائن .بين الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام .[2]

أما الأندلس فهي تشكل أنصح أوجه الحضارة العربية الإسلامية والإنسانية التي يبرز في أولى حلقاتها طارق بن زياد وفلول من العلماء والقادة الجزائريين الذين يعود لهم الفضل في فتح الأندلس التي أصبحت بعد ذلك نموذجا رائعا للفن والجمال والحب للإنسانية جمعاء ′ بنفس القدر وبنفس القوة التي شكلت وصمة عار في وجه الإنسانية بسبب ما خلفته محاكم التفتيش من جرائم وفضائح في حق المسلمين واليهود معا ′ولعل قوة وقع الشأو الحضاري الإنساني في الأندلس بشاعة ما أرتكب بعد ذلك في حق بناة هذه الحضارة هو الذي دمغ فضاء الأندلس من الذاكرة الجزائرية بسبب اتساع سواحلها التي استقبلت الوفود الكبيرة الهاربة من محاكم التفتيش وهي تحمل كل معاني المآسي والآلام والموت والدمار.[3]

إذن وحسب محمد بشير بويجرة فإن الأندلس ′توات ′القدس يشكلون عنصرا أساسيا في جوهر الذاكرة حسب مقتضيات الحبكة النصية وهيكلتها حتى برز هذا الثلاثي وكأنه هو المقرر الحاسم في تنوع الجدل الكينوناتي والنقم السردي في **"تلك المحبة "** مما قد يوحي للقارئ فعلا بأن الكتابة الروائية مسألة هوية ... حفر خصوصية لإعطاء الإنسانية اكتمالا....[4]

كما يبدو لمحمد بشير بويجرة أن رغبة التناصية في متن **"تلك المحبة "** لم تكن مجانية تسويقية أو تزيينية ′ بل كانت ذات مقصدية ضاربة أطنابها في استراتيجية بناء النص

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص 34

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 34

[3] المصدر نفسه 189 - 190 ص 33

[4] المصدر نفسه 189 - 190 ص 35

وتلقيحيه بسيروم الخلاف والاختلاف بغية زرع الحركة والتعافل داخل مكوناته ' سواء كانت تلك المكونات شخوصا أو أفكار أم جمادات من نخيل ورمال وفقرات وغيرها .[1]

ثانيا: الفضاء الكاتب أو هيمنة الجغرافيا

في مطلع هذا الفصل أشار محمد بشير بويجرة إلى أهمية الجغرافيا في نص **"تلك المحبة** "حين يقول في كتابه هذا " **ربما نذهب إلى أبعد من ذلك 'حين قدرت في "تلك المحبة " أن هناك عناصر أخرى هي التي كتبته بدلا عن المبدع 'عناصر قد تتشكل وتتبلور في الذاكرة كما قد تحوم حول المغريات المطمورة في عمق الشاعري والهوية السحرية لمخزونات الإبهار والإعجاز 'المؤكد على هذا أو ذاك هو أن "الجغرافيا" كانت صاحبة شأن كبير في قلبي النص عليه وهندامه ' حتى يمكنني المجازفة بالقول بأنها هي التي كتبته".**[2]

أجرى محمد بشير بويجرة مقارنة عرضية بين نصوص **"السائح"** على سكنه وبقاءه في أدرار وبين تلك التي كتبت أثناء ذلك والتي منها **"تلك المحبة "** حيث رأي أن هناك فروق جوهرية بين الكاتبتين في مجالات اللابوس الإبداعي ثم قد يزداد الأمر وضوحا عند قراءة هذه الفقرة **"أكيد أنك تمشيني الأن في العمق ...عشت عشر سنوات في الصحراء وهذا جعلني أنقلب في كل مكان يجعلني في خانة أولئك الذين يبرمجون أفكارهم وسلوكهم وثقافتهم ' من أجل تحصيل أغراض ليست دائما نبيلة" ...**[3]

يرى محمد بشير بويجرة أن القرب من أنه جمالية المكونات الجغرافية التي كتبت تحت هالتها **"تلك المحبة "**والتي قد تساهم بقدر ما في تذوق وفي تقييم وتلميع مكان من التجربة فيه كانت بدون شك ' قد استدعت من الكاتب وقد تستدعي من القارئ قراءات متعددة ومتنوعة ذات مثلة بتلك المكونات الجغرافية مما دفع بمبدعها إلى القول : **"ها هي إحدى أهم مشكلات الكتابة تواجهني في تأثيث موضوع عن الكتابة : اللغة 'تاريخ الإبداع الأدبي 'في تصوري هو اللغة في صيرورتها المعجمية والاستعمارية" ...**[4]

---

[1] المصدر نفسه 189 - 190 ص 35

[2] المصدر نفسه 189 - 190 ص 43

[3] محمد بشير بويجرة . محتة التأويل ' زخم المرجع وفتنة االوقع قراءة في أوديسا الصحراء (تلك المحبة).منشورات دار القدس العربي 2010 ص 44

[4] المصدر نفسه ص 46 - 47

ثالثا: ثراء الذاكرة أم عبقرية "تلك المحبة "

في مطلع هذا الفصل شرح محمد بشير بويجرة أهمية الصحراء كموقع جغرافي لنص **"تلك المحبة "**

حيث يقول **"وذلك لكون هذا الفضاء الذي نعيش في وسطه ويحمل هويتنا بات يحمل دلالات وظل متمما بمرجعيات قيمة التأويل ومتعددة القراءات وذلك كوننا مرتبطون جغر افيا بمنطقتين إفريقيا والشرق الأوسط فإن الصحراء باتت مكوننا أساسيا في بنية هويتين مما جعلها في "تلك المحبة" ذات إفراغات أسطورية غر ائبية آتية أساسا من النبت الديني /أو البعد العقدي ’عندما كانت الصحراء المقيت الأول للغات السامية ولكل الديانات السماوية ’ بل وللكثير من الحضارات العالمية حتى كانت ...مألوفة بالنسبة لبني إسر ائيل منذ رحيل أجدادهم عن بلاد بابل حتى عودتهم إلى فلسطين بعد وفاة النبي موسى عليه السلام... "**[1]

كما يرى محمد بشير بويجرة أن الصحراء عدت في النسخة السريالية للكتاب المقدس **"مكان للشيطان" "**ونفي هذا الاعتقاد ساريا حتى عند العبريين ’ والكنعانيين ولكن على الرغم من ذلك فإنما تبقى عندهم أرضا مباركة ’لأن الذي التقى فيها بشعبه وتعرف عليها ...[2] **AZAZEL**عزرائيل"

ويرى أيضا أن نص **"تلك المحبة"** قد وظف مجموعة من الأسماء للأشخاص أو الأماكن أو لمعجم لغوي مشبع بحمولة إيديولوجية أو عقدية أي أيقونات ذات أبعاد ودلالات عميقة ذات جذور في الهوية الوطنية أو مرتبطة مثل **"اسماعيل الدرويش ’ البتول ’ طارق بن زياد’ الوليد بن عبد العزيز’... " "الأندلس ’القدس 'سيدي فرج ’ توات’ وهران ... "** وغيرها من التقارير والصيغ والتيمات والمصطلحات التي قد نظرت في السياق العام للنص لتهب في المنحنيات والمرجعيات تلتئم في عمق الذاكرة وخفيفة المرجع .[3]

ويلاحظ محمد بشير بويجرة أن المتمعن في المغزى النص **"تلك المحبة"** وإيحاءاته بواسطة التأويل يجد أن مبتغاه لا يقتصر على سرد أحداث وعلى تشريح صراع قديم وجديد بين

---

[1] المصدر نفسه ص 55

[2] المصدر نفسه ص 55

[3] المصدر نفسه ص 58

مكونات فضاء الأخر المسيحية – اليهودية وبين منعرجات الأنا الجزائري ’بل يتجاوز ’كل ذلك إلى إضفاء لبوس جمالي متجدد في المشتهي السردي .[1]

وللاستزادة في استنطاق الذاكرة عبر بنية نص **"تلك المحبة** "حثنا محمد بشير بويجرة على قراءة فصلي **"جبريل صليب من خشب مبروكة هلال من نار’ثمة جبريل ’ثمة الخطيئة ولمبروكة مربع الضوء . "**

الذي حاول استنفار الذاكرة واستلهام واقع بقول الأخر الذي هي المنطقة بالاتكاء على عاطفة العشق التي تجمع بين القس جبريل الرجل الوسيم الذي لا نقاوم طلعته امرأة في صدرها قلب ...وبين مبروكة التي ...تعلم أنها في فتنة برائحة فجر الخريف الصحراء...’ثم الاعتماد على القوات والجيوش التي داهمت ...البوابات الأمنية بالسيف والإنجيل .[2]

ولعل أجمل ما في الفصلين اعتمادا على بيع الذاكرة وعلى حسن اختيار النسق الصدري حسب محمد بشير بويجرة هو إتباع أسلوب التقابل بين **"صليب الخشب"**و**"الهلال من نار"**و جبريل **"الخطيئة "**و**"مبروكة الضوء"** حتى بدأت الذاكرة الوطنية منحصرة في الهلال من النار الأكلة المحرقة ’ **"صليب خشب الأخر"** أما إذا تجاوز أن ذلك وعمدنا إلى تحليل العلاقات الجدلية بين الشخوص ومغزى أسمائها وبين الميكانزم الحدثي والرونق الاصطفائي فإننا سنجد مدونين التي عثرت عليهما **"مبروكة"** فوق مرفع خشبي يستعمله **"جبريل"** القس هوما اللتان اعتمد عليها النص في الكشف عن معاناة **"الأنا"** مقاومته الأخيرة في منطقة **"توات"** وفي الوطن كله لتكتشف **"مبروكة"** بأن جبريل كان يكتب تقارير مفصلة عن هجوم الجيوش الفرنسية على السكان الأصليين ’ثم تكتشف بعد أن فتحت الكراس الثاني **"حتى انشحنت روعا تجده غير مختلف عن الكراسة الأولى"...**[3]

ومع الختام هذا الفصل يقول محمد بشير بويجرة" **و إيغالا" عن حمولة الذاكرة والكشف عن كل ما تحمله يجد القارئ تلك المحبة مجموعة كبيرة جدا من الإحالات على أحداث أو إيحاءات إلى و اقع ذات ارتباط قوي بالمنطقة. "**[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 59

[2] المصدر نفسه ص 62

[3] المصدر نفسه ص 63

[4] المصدر نفسه ص 68

رابعا: : هوية المحبة ومقصدية الإغواء :

يرى محمد بشير بويجرة أن هناك تلازما وتداخلا قويين بين الذاكرة وبين المحبة في اعتبار أن المحبة هي البنية الاولى في تشكيل فسيفساء الذاكرة وفي التشديد على الحفاظ عليها بنفس القوة

المفعمة بالإغراءات أو الاكتشافات أو المحاورة بغية رسم معالم سراديب الصيرورة عبر مسارات

المستقبل تفاديا لمفاجئته ومخبآته .[1]

ولعل أرقى مراتب تلك المحبة حسب محمد بشير بويجرة هو ما سجلته المدونات التاريخية المتمثلة في المواقف الإنسانية الخالدة للأبطال والشجعان من أجل الدفاع عن حرية الأوطان والشعوب والأمن ′ أو في مواقف الصوفية ترضى بعيش وحبه لربه إلى أقصى مراتب التلاقي والشفافية بين المعبود والعابد ′أو تلك القصص والحكايات التي تردي تفاني العاشق إنذاره في معشوقه لامرأة كانت أو رجل .[2]

كما أن محمد بشير بويجرة يعتبر نصوص كل من **"الجازية والدراويش" "ومعركة الزقاق " ′ "وكتاب الأمير" ′وماسينيسا " و أنا القديس أوغسطين" والذبيح الصاعد "** وغيرها من النصوص الإبداعية التي تستلهم الذاكرة لأكبر دليل على إمكانية استخراج عناصر المحبة كيف كان موضوعهما من ذاكرتنا وتوظيفها في النصوص إبداعية مخلدة لهاته العاطفة التي لا تنصب.[3] ويوقف هذا فإن تلك المحبة التي إذا لم نذكر بصريح اللفظ السياق الشخصية وطنية من الشخصيات الذاكرة لكنها تقتنص اللب الذي تتحرك وفق هذه الشخصيات ′ المحبة′ والود′ والعوم وبين أمواج المتلاطمة لإدراك صدف الكينونة والقدسية المعيش ...[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 71

[2] المصدر نفسه ص 71

[3] المصدر نفسه ص 75

[4] المصدر نفسه ص 75

ويرى محمد بويجرة أنه حينما نغامر نحو عمق النص ومجاملة أمواجه فإننا نقع سمفونية كاملة تدفع بنا إلى الذاتية عشق وجب كل ذرة وكل حبة رمل وكل زهرة نخلة أو شهقة وجد عبر بناء محكم للعلاقات التي أوهمنا المنن بإحكام ربطها شخصيات وداخل حادثة .[1]

خامسا: : عجائبية الحكي أوسحرية الو اقع

من خلال الفصول السابقة يرى محمد بشير بويجرة أن متن **"تلك المحبة"** يقدم كل ما أثير من القضايا

فيه وفق آليتين أساسيتين هما : عجائبية الحكي بغية التوصل إلى سحرية الوقع وولله اللغة إبتغاء النشب في الكهنوت الكامل فينا وذلك على اعتبار أن تفرد النص الأدبي يكمن في الأسلوب الذي يقدم به إلى القارئ وفق منهج قائم على الخلاف والمفارقة ..." خلاف ومفارقة لا يحسهما ولا يعر بها القارئ إلى عبر تمنع هوية النص ومعماره بفضل كوده اللغوي الذي يعتبر مفتاح الوحيد والأوحد لما غالق النص والراعي الأمين لعلاقة الحوار بين النص وقارئه.[2]

قدم الدكتور محمد بشير بويجرة مجموعة من الأمثلة و كتب العديد من الفقرات التي تثبت عجائبية النص نذكر منها في قوله **"ولم يكن ذلك مجرد نزوة عابرة بل نألف هذا الميكانيزم من أول سطر في النص حيث يقول " أستغفر الحق وأرتجي الشفاعة من حبيبه ' و أبتغي مرضات الأقطاب والأولياء والأئمة ،و الأوتاد والحكماء والصالحين والصوفية والزهاد ' ورجال الرمل والماء والفقراء والأعماد ...**[3]

ثم نقرأ في حالة أخرى **"...وقال مكسورة الصوت : مثله مثلها أخلاطها من النار وفي دمائهم سو ائل تبطل مفاعل سحر اليهود الأسود ' ثم أصابتها خضخضة لما ذكرت الدم . ولم تقل كيف دم مكحول رملا بين بنت مندلي ولما جاؤوها فأحرقته في رصاصها المذوب تحول ماء تبخر بين أصاعبها فأصابتها الر ائحة بدوال وصرع . "**[4]

واختصارا لما جاء في هذا الفصل يقول محمد بشير بويجرة" **بأن النص "تلك المحبة"** متخم بهالة من العجائية والسياقات المتعددة من الابهار والاندهاش وقتل كل ملمح يبدو

[1] المصدر نفسه ص 76

[2] المصدر نفسه ص 89

[3] المصدر نفسه ص 90

[4] المصدر نفسه ص 90

للوثوقية والثبوتية في الاستراتيجية القرائية وبث نزعة الشك تحت أسلوب الإيهام بتلبيس وقائع النص وحداثيته بملبوسات الوقائع التاريخية الماضية كدلالة وكبرهان على الايهام بالمصداقية ونقل الحقائق لكننا نلاحظ دائما نوع من الإصرار على استفزاز ذاكرة القارئ المعرفية .[1]

سادسا: وله اللغة وفتنة الكهنوت

يرى محمد بشير بويجرة أن هناك اختلاف حول من يصنع الأدبية في النص أ هو الموضوع **"التيمة" أ م اللغة ؟** لكن حسب رأيه الشخصي فأنه يميل إلى اللغة وذلك بسبب هيمنة الكلمة والجملة والسياق العام على بؤرة الإبهار ومعين الفتنة الجمالية إما على مستوى كينونة النص أو على مستوي القصيدة والألية على كاتبه

أو على مستوى التمكين والتحدي وتشخيص المعنى والدلالة لدى القارئ.[2]

1. على مستوى المبدع :

لقد كان علاقة محمد بشير بويجرة بالكاتب على مستوى الإبداع تمتد إلى سنوات السبعين مع مجموعاته القصصية أو الروائية وكان لديه عشق وهيام باللغة لم يكن يمتلكه كثير من الأدباء والمبدعين حتى تبين لمحمد بشير بويجرة أن نص تلك المحبة هو نص شعري كل كلمة وكل جملة فيه حاملة لعالم من المتناقضات **(بالمفهوم الجمالي للكلمة) والإيحاءات والاستفسارات الموكلة الإجابة عنها للقارئ.**[3]

اعتبر محمد بشير بويجرة أن نطفة النص **"بين تلك المحبة"** لا تتشكل من رافد لغة واحد وحيدة بل تبنى وتسقل من روافد لغات متعددة متنوعة ومختلفة ′ مما جعل كاتب هذا النص يردد "نفتني في مسودته الأخيرة هو مجموعة من اللغات التي أعيد تشكيلها وصياغتها في سياق عربي وتتمظهر تلك اللغات في لغات القراءة(الفصحى ′ العاميات ′والبربريات ′ اللهجات جهوية ....) وفي الإشارات والرموز ....[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 96

[2] المصدر نفسه ص 105

[3] المصدر نفسه ص 105 - 106

[4] المصدر نفسه ص 106 - 107

واستنادا على ما جاء في الفقرات الماضية يلاحظ محمد بشير بويجرة أن كل تلك التفاعلات والتناصات التي تسبق اكتمال النص وتنشؤه في سياقته النهائية كفيلة بأن تحدث في الذات المبدعة كثيرا من المشاكسات والإكراهات مما دفع بكاتب" **تلك المحبة** " إلى الربط بين غريزة الكتابة الحق وبين التمكن بقوة من تاريخية اللغة حين يقول **"ها هي إحدى مشكلات الكتابة تواجهني في تأنيت موضوع عن الكتابة... هو تاريخ اللغة في صيرورتها المعجمية والاستعمارية ... لكني حين أكتب الكتابة فأنا أنحت لغتي الأخرى نحتا مما هو غير مطروق أو هكذا أعتقد** ".[1]

قام محمد بشير بويجرة بحوصلة أبعاد المقولة السابقة وهي أربعة محاور رئيسية تتمثل في :

ـ إن ماهية الكتابة هي عبارة عن تأنيث لموضوع لتيمة أمن الموضوعات (التيمات)التي ربما تكون ملكا مشاعا بين كل من نقترض فيهم الكتابة الأدبية ’تماما كما يفترض في أي شيء أو أي فضاء أن يكون حاملا للقيمة الجمالية أو تجلي خصائصه إلا بعد أن يؤنث أن تعمل فيه أساليب الديكور ونزعة التذوق فعلها’ فتصبح عليه جمالية معينة متسمة بلمسة فنية تساهم خصوصياتها ونفحتها من المؤنث ومنجز الديكور .[2]

ـ إن صيرورة اللغة مسألة باتت هي المدة الأخيرة بالحدة والنجاعة والفعالية حتى باتت هي العمود الفقري

للنص في دلاليتاها وفي مجتمعها فقط . بل حتى في تطورها وتولدها عبر مراحل التاريخية ’ توالد وتحول يكفل لها حمل قيم لكل عصر وإيديولوجية كل أمة وحتى صقل وبلورة أيقونات كل عقيدة وكل دين .[3]

ـ في حين تبقى الكتابة عن الكتابة صيغة أساسية مطلوبة علميا ومنهجيا لأنها تهدف إلى توصيف للحالة أو الظاهرة مما يفرض على متنه لغة ذات معجم محدد ودقيق من معانيه وفي دلالاته تفاديا للاختلاف والتضاد وسعيا لتقريب المفاهيم بعض القضايا والإشكاليات قدر المستطاع .[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 107

[2] المصدر نفسه ص 108

[3] المصدر نفسه ص 108

[4] المصدر نفسه ص 109

ـ أما كتابة الكتابة فتلك مكمن الأدبية وعدين التأويل لأن مثل هذه الكتابة لا تقصد إلى نقل المعلومات والأفكار والمعاني فحسب ′ بل تبقي المشتهي الافتراضي في النص وتبيين حقول إثبات الأصالة فيه وللوصول إلى صلب النجاعة في الافتراض، يتطلب ذلك نوعا من المشاكسة بين النص والن نفسه بل وبين المبدع ونص أو كل نصوصه ولعل ذلك ما قصد إليه الحبيب السائح في مقاله **"عنف النصوص" حين خلص أي أن ...** النص الأدبي ′ الروائي خاصة لا يكتب إلا في صدام صريح أو ضمني من الثالوث المحرم المتأدب كالعلامات طريق تمنع الكتابة ...[1]

2 ـ على مستوى النص :

حاول محمد بشير بويجرة وهو يقرأ نص **"تلك المحبة"** أن يجمع الأحداث والتيمات وبين الإغواء اللغوي لكنه عجز من ذلك حتى تبينت بأن نص تلك المحبة قد فرض عليه سؤالا اعتباطيا مما دفعه لقراءة النص عشر مرات وينجز حوله هذه الدراسة ولم تدرس ذائقته القائمة بعد على جواب نافع شافع مما جعله يقول **"عبن النصوص"** مقابل **"عنق النصوص".**[2]

كما يبدو لمحمد بشير بويجرة أن أهم ما يميز النص **"تلك المحبة "** هو دسامة الخطاب اللغوي وحدة شفراته اللغوية التي تكتسح أمامها كل جفوة طبع أو بلادة حس أو خساسة ذوق بل هي قادرة على التوغل كيفما شاءت وتتعمق أينما أرادت في ذائقة القارئ حتى تتملكه من الجذر الوجداني فيقع منبهرا متفاجئا من هول ما يقرأ ومن عجب ما لايعرف وأنصع ′ دليل على ذلك هو هذه الفقرة **"... وكانت الجمال المسخرة لعدة العسكروالعتاد لما أحست غياب الرجال تعرف رائحتهم مغيظة بإهانة من يبولون عند أنوفها ويمدون ظهورها بالأحمال هاجت فجرا ... "**[3]

تصور محمد بشير بويجرة أن الفقرة السابقة الذكر تحاول أن تقدم وصفا لحالة هيجان الإبل وهي حالة اعتيادية معروفة عند السكان هذا الفضاء لكن الإبداع اللغوي المتحكم في صياغة مثل هذه الحادثة أخرجها عن المعتاد وأسدل عليها الكثير من الغرائبية والعجائبية

[1] المصدر نفسه ص 109

[2] المصدر نفسه ص 111

[3] المصدر نفسه ص 111

ولعل مظاهر ذلك تتجلى في هذه الكلمات : **"العسكر/ رائحتهم / يبولون / فجرا ..."** بحيث لو حذفت هذه الكلمات والفقرات من سياقات الحادثة النصية لأصبحت خالية مما تمت الإشارة إليه...[1]

ثم إن القارئ مثل هذه الفقرة حسب محمد بشير بويجرة يصاب بجمالة من الاستنصار الذهني وبزحمة من التأويلات تذكى نار أوارها تكثيف العلم المؤنث (**السيد / هي / حفيدته / تشبهها أختها / امرأة / بها لهن / عقلها**) ...[2]

ج ـ على مستوى القارئ: وضح محمد بشير بويجرة أن نص **"تلك المحبة"** أتى بكل هذا الإبداع من أجل مشاكسة القارئ وليس من أجل المفترض الجاد لا القارئ المتهاون العامل / وهي فكرة جوهرية أثارها السؤال حداثي : ... **"من هو القارئ المعني هنا "** ؟ وهنا يقصده النص الأدبي المعاصر بمعنى أن هنا النص المعاصر يتطلب قارئا نفترض فيه الجدة وموسوعيته المعرفية .[3]

ثم إن هذا السؤال الذي طرحه" **فولنغانغ إيرز"** وغيره من الأسئلة الشبيهة تعد جوهرة أساسية في عولمة النص الأدبي ولذلك لكون هذه الأفكار المندسة تحت مثل هذه الأسئلة تتأتي عن ربط النص الأدبي بقارئ تاريخي مجسد منتج من معرفة مستهلكة الأن /وتسعى الى ربط هذا النص بقارئ مفترض في عالم تغير التجديد / نزعة كهذه ترمي إلى تأسيس جمالي قادر على إنتاج قارئ مساو للنص المعاصر الجديد في جدة وفي جديته / أما أبما تكون تقصد إلى إيجاد نوع من الانسجام بين القارئ وإنجازه لقرائي إن في الكيف أوفي الكم وبين الأعزاء بالدفع إلى إنتاج النصوص أدبية لا تستملك بسهولة ويسر .[4]

يتصور محمد بشير بويجرة أن لغة **"تلك المحبة"** ربما تجسد الفتنة والانبهار والتجاوز عندما تسعى بكل الوسائل إلى اختراق الموجود والمتداخل والطاهر نحو التداخل المكبوت المسكوت عنه والمقدس / رغبة منه في حقن الحالات الوجودية التي يتدخل فيها التوهج الإنساني مع الصفاء الطبيعي خاصة حين نقرأ .... **كانت تمتراست دخلت في صمتها المهيب ليل مجمل بهمس الريح تفتح بو ابات بين السماء / للعين فتنة بأنجمها وبين الأرض للقلب**

---

[1] المصدر نفسه ص 113

[2] المصدر نفسه ص 113

[3] المصدر نفسه ص 115

[4] المصدر نفسه ص 116 - 115

روعة بأنفسها '.... وكان الأب يقيم في وحدته صلاة لنفسه قومه وإخوانه لا ينتصر على طرد الشيطان [1]

فقرة دفعت محمد بشير بويجرة لمحاولة معرفة أي نوع من القراء يستطيع أن يلج ويعرف الدلالة الحقيقة للفقرة.

يرى محمد بشير بويجرة أن لغة نص **"تلك المحبة "** تجنح نحو امتلاك معجم اللهجات الشعبية والمحلية

كتقنية للولوج إلى واعية القارئ وذائقته مثل : **"... لم يذكر بليلو أن (قاوري) صاحفة من قبل " حين** لاحظ محمد بشير بويجرة أن كلمة (قاوري) يقصد بها النصر اني الأوروبي في التعاملات الشعبية ومثل الفقرة القائلة **"... فانتقلت منه (رس) اللياقة** ، التي توجد بها صورة بلاغية راقية جدا لاستعارة كلمة كلمة (رس) الشعبية والتي يقصدبها لجام الدابة [2,]وهناك الكثير من الأمثلة في النص التي أضفت على النص في جميع ميكانيزماتها وفضاءاته أبعاد جمالية متميزة [3]

استخرج محمد بشير بويجرة بعض من الكلمات التي تدل على معجمية هذا النص **"تلك المحبة "** التي تسخر

لمصطلح المكون الجغرافي مثل **"الرمل " ' النخلة " الفقارية ' القصر' الأيقونات الدينية ' مثل المحمدين '**

الموسووين ' الصليب ' الدبر' الجية ' الهلال ' الحلوة ' " وكذا وسائل السحر ومكوناته ومتطلباته العجائبية والغرائبية مثل **"لسان الفأر" "كعالة العقرب"** وغيرها من التعابير والرموز ذات الصلة بالبيئة وبالفضاء.[4]

ومما زاد في جمالية هذه المعجمية وثما هيها مع ماهية النص هو حيويتها وابتعادها عن الجمودية الثبوتية

---

[1] المصدر نفسه ص 117

[2] المصدر نفسه ص 120

[3] المصدر نفسه ص 121

[4] المصدر نفسه ص 121

فحبة **"الرمل"** تسند إليها سلوكات وأفعال إنسانية إيغالا في قوة التماهي حتى نجد أن **"... رما لها تطهرت أو..)**

"إن الرمل في عيونهم يمتص ما يفيض من الحو ائج معا ... " [1]

ومما زاد في جمالية هذه المعجمية أيضا المحاجات القوية بين الأيقونتين الدينيتين في محاولة طل منهما

الانتصار لعقيدة وإيديولوجية محاجات المرات التي إمكانية إنجاز جوار رفيع المستوى لصالح الإنسانية فكرها

المستمر ُ كما وجد محمد بشير بويجرة ي النص كذلك عالما ...**تمتزج فيه تسابيح الطيور كلمات مما قاله الخلق**

في المحبة والعشق والفناء والحق ...[2]

---

[1] المصدر نفسه ص 122 - 121

[2] المصدر نفسه ص 122

الفصل الثالث:

من سحر الجوار إلى سحر السرد ..

عودة بويجرة إلى الحاضر الباحث عن التأسيس

قـــــــــراءة فـــــــي كتـــــــــاب

بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970 إلى 1986

أولا: العلاقة الجدلية بين البنيتين الزمنية والاجتماعية :

كمدخل صغير لهذا الفصل أشار محمد بشير بويجرة عن وضع الوطن العربي الذي عاش حالة من العبث في الماضي القريب ′ فإن أوصاله وهمومه مازالت تحن إلى الالتئام والتوحد . وإذا كانت السموم السياسية والاقتصادية وحتى الإيديولوجية ′ في كثير من الأحيان الذي دست له في كؤوس من الاضطهاد والتنكيل والتقزيم خلال مراحل مختلفة قد أضعفت قواه وزعزعة رؤيته للمستقبل ′ فإن حرارة الروح والوجدان مازالت تتحدى الحدود وتتجاوز الفيافي لتلتم وتجتمع فتتعانق [1]

وحسب محمد بشير بويجرة فإن من مظاهر ما تألفه في الرواية العربية في الجزائر من عناق أبدي وتجاوب مستمر مع زمنية الذات العربية الأم المبثوثة بين حنايا النص العربي الممتد من المحيط إلى الخليج [2].

يرى محمد بشير بويجرة أن سنة 1830 كانت السنة التي أيقظت المجتمع الجزائري من حلم التواجد بين المجتمع العربي الإسلامي الممتد من المحيط إلى الخليج تلك الكارثة التي أعادت النظر في كيفية التعامل مع الزمن ′ وإلى اكتشاف إحساس جديد يتركز حول الخطورة التي بدأت تحيط بذاته بداية من بتر جزء مهم من هذا الوطن الكبير ′ وصولا عند عزله بعيدا عن التيار الوجودي الانساني وعن مستجدات العصر [3].

تحدث محمد بشير بويجرة أيضا عن فكرة الإدماج التي تهدف إلى اعتبار الشعب الجزائري شعبا فرنسيا وإلى جعل الوطن الجزائري قطعة من فرنسا وذلك حتى يسهل عليه إحكام السيطرة على الأمة الجزائرية ولقد تميز الوجود الزمني بعد رفع هذا الشعار بالقلق والتوتر نتيجة للرفض الذي لقيه من طرف السكان ولإصرار المستعمر على تجسيده على أرض الواقع [4].

---

[1] محمد بشير بويجرة . : بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970 - 1986) الجزء الأول .منشورات دار الأديب (حي باهي أعمر السانيا وهران) 2008 ص 36 .

[2] المصدر نفسه ص 36

[3] المصدر نفسه ص 38

[4] المصدر نفسه ص 39

وبعد أن أشار محمد بشير بويجرة إلى بعض ممارسات المستعمر في حق الشعب الجزائري نساءا وأطفالا وشيوخا من قتل واعتداءات وحشية التي سببت ألما وقسوة للشعب الجزائري . فإن نبع الاحساس بمثل ذلك الألم وتلك القسوة اتجاه الزمن كون الذات الجزائرية كانت تفهم وتعي دورها جيدا في الأحداث التي كانت تضعها الأيام في طريقها ′ وهو دور لا يتعدى الموت والاندثار دون أمل في الغد أو هدوء في الآن ′ ولقد أحدث ذلك الدور مفارقة غريبة في جدلية الزمن وسيرورته حيال الواقع الجزائري ′ وتتحصر تلك المفارقة في وجود الجندي الجزائري والجندي الفرنسي في خندق واحد ′ بينما هدف الأول غامض ومبهم و رؤية الثاني جلية واضحة مما خلق عند الأول رؤية مأساوية للواقع والزمن في أجزائه الثلاثة ′ الماضي كان غائبا عند حيثيات الواقع الآني المندفع نحو غد مجهول بل يستحيل وجوده حسب المواصفات المرغوب فيها [1].

ومثلما كانت سنة 1830 فترة حاسمة في حياة الفرد الجزائري من حيث علاقته بالزمن ورؤيته له يرى محمد بشير بويجرة أن سنة 1954 أصبحت نقطة تحول عكسية للزمن ′ حين أصبحت حركته مضبوطة نحو الأمام كاشفا عن وجه الأمل العالق بالذات منذ الفترات الزمنية الماضية [2].

أشار محمد بشير بويجرة إلى الكثافة الزمنية وأثارها النفسية لدى الفرد عند كل فترة من الفترتين ′ حيث كانت الفترة الأولى مجللة بالألم والشقاء وأحس الإنسان أثنائها بالتفاهة والضعف ′ كانت الفترة الثانية باعثة أمل وسعادة لكونها حولت الحدث الهام الذي يمكن النظر من خلاله إلى عظمة الإنسان والأمل في تخطي ذاته والوضع التاريخي الذي يعيش فيه ويتعلق بالأمل والثورة [3].

يرى محمد بشير بويجرة أن الفترة الممتدة 1965 - 1970 كانت فترة استيعاب وتخمر لحس الأكلة الجزائرية عند الفئات الاجتماعية البعيدة عن الأطماع والتي لم ترغب في الانتقال من فرحة النصر فنشوته المتسمة بالنقاء والطهر إلى فترة زمنية متقدمة عليها دون تبرير منطقي ووجهة قوية أو دون الحصول على وعد صريح من القادة السياسيين يتعهدون فيه بعدم التعرض للماضي بالتشويه أو التغيير بل والحفاظ عليه كعالم سحري نعلقه نياشيتة الفوز

[1] المصدر نفسه ص 40

[2] المصدر نفسه ص 42

[3] . المصدر نفسه ص 42

الانتصار [1] ومن خلال هذا أشار محمد بشير بويجرة إلى أن زمن تلك الفترة كان يتدحرج عبر خطين متوازيين هما الزمن السياسي الذي كانت تراهن عليه الأجهزة الرسمية من أجل تجاوز مراحل التخلف والانحطاط بالاعتماد على الشعارات الاشتراكية ' ولقد كان هذا الزمن يسير بوتيرة سريعة جدا ' فبنيت المصانع العديدة وشيدت المدارس والجامعات والمعاهد العليا التي تخرج فيها إطارات عليا كثيرة في أقل فترة زمنية ممكنة ' كما صرفت أموال باهضة للفئات الاجتماعية المتضررة أثناء حرب التحرير ' إلى غير ذلك من القرارات والشعارات الدالة على الاهتمام بالمستقبل باعتباره هدفا أساسيا من الاستقلال ' في الوقت الذي كان فيه الزمن الحاضر عبارة عن لحظة زمنية تكمن أهميتها في العبور عليها إلى الضفة الأخرى ' [2]

ولقد أدت هذه الرؤية للزمن من طرف الأجهزة السياسية إلى العناية والاهتمام بالجانب المادي ' وإهمال الحيثيات المعنوية ' التي تمتلك وحدها القدرة على تحمل اللحظة الآنية التي يعتبرها جل فلاسفة العصر الحديث نقطة سوداء في بناء المستقبل المتكامل في جانبيه المادي والمعنوي [3]

أما على مستوى السلوك الاجتماعي فقد اعتبر محمد بشير بويجرة أن الزمن السياسي قد يساهم في خلخلة وتيرة تركيبية زمنية لدى بعض الفئات الاجتماعية التي كانت تصر على القفز فوق المراحل الزمنية للوصول إلى أهداف معينة تحت شعار ضرورة التطور مع العصر ومواكبة الحضارة الغربية ' مما برر لتلك الانشقاق الطبقي والاسري داخل المجتمع الجزائري في الفترات اللاحقة [4]

يرى محمد بشير بويجرة أن الخط الثاني يتمثل في " الزمن الشعبي " المرسل عبر الذات الجزائرية في طبقاتها الشعبية البعيدة عن دواليب الزمن السياسيتين والممتدة في تقديمها للزمن وفي تعاملها معه على الهدوء والتروي ' فدعت إلى ضرورة الاحتفاظ بالماضي وبصوره المرسعة بالبطولات والأمجاد ' في الوقت الذي يجب فيه التفاعل مع الحاضر بإيمان وإخلاص ودقة ' وبما أن الزمن السياسي كان هو المسيطر على زمام الأمور وسيد اللحظة الآنية فلم يكن يسمح بالحوار والمناقشة ' أو يفكر في التنازل عن هيمنته واستبداده ' فإن الزمن الشعبي في

[1] المصدر نفسه ص 47 - 48

[2] المصدر نفسه ص 48

[3] المصدر نفسه ص 49

[4] المصدر نفسه ص 49

كثير من الحالات انزوى في ركن أركان الصيرورة الوجودية لدى بعض الفئات ' أو جعل ظاهرة الابتهار من " الزمن الماضي " تغلق الذات فتدفعها إلى مجاراة الزمن السياسي تجنبا للدخول معه في صراع لدى فئات أخرى ' ولقد كانت الإشكالية الزمنية '[1] نتيجة لكل ذلك ترى بأن " هذا الأن الحالي الذي نضفي عليه كل هذه الأهمية ما هو سوى برهة عابرة ' وكل الحقائق التي تطل عليها من خلاله ستتغير في الدقيقة القادمة .[2]

إذن كان بإمكان محمد بشير بويجرة القول بأن البنية الزمنية التي غرستها الأحداث المعاشة داخل الذات الجزائرية كانت تتأرجح بين الاعتداد بالزمن الماضي والاتكال عليه حينا أو التشبث بالمستقبل والارتماء بين أحضانه حينا آخر ' مما يسمح بالقول بأن المبالغة في الانبهار من أحد قطبي الزمن الماضي أو المستقبل في كثير من الحالات شكلت إحدى الصور التي أضفت طابع السلبية على الزمن الحاضر فانحصرت جدواه وقلت فعاليته لأن تفشي ظاهرة الانبهار بين أمة ما ' مالم تتسلح بالعلم والموضوعية والوعي ' سيؤدي بالضرورة إلى الارتقائي في أحد الزمنيين دون ترو أو تمحيص [3] .

هذه كانت لمحة موجزة عن الوضع العام للخريطة الاجتماعية وعلاقتها بالبنية الزمنية في الجزائر حتى سنة 1972 لأنه بعد ذلك يعتقد محمد بشير بويجرة أن هذا الوضع قد عرف منعرجا خطيرا وحاسما تحت تأثير عنصرين إثنين هما تراكم الأحداث السابقة وصدور ميثاق الثورة الزراعية الذين أديا إلى إحداث توتر في البنية الزمنية داخل الهياكل الاجتماعية المدروسة والأسرة والجامعة والقرية مما جعل الإحساس بقبضة الزمن السياسي واستبداده يشتد ويقوى .[4]

ثانيا: الروائي بيت التوفيق والانبهار :

اعتمادا على ما سبق في الفصل الأول يرى محمد بشير بويجرة أن هناك ضرورة تقتضي أن يصاحب تلك الأحداث خطاب أدبي له القدرة على رسم المنحنيات التي تمر عبرها الذات وهي مبحرة في محيط الزمن فتنوع ذلك الخطاب من شعر وقصة ومسرح ورواية [5] . كما يرى بأن

---

[1] المصدر نفسه ص 50

[2] المصدر نفسه ص 50

[3] المصدر نفسه ص 51

[4] المصدر نفسه ص 51

[5] المصدر نفسه ص 60

الرواية كانت أوفر حظا في التداول مما أصبح مدعاة للتطرق إلى الروائي ذاته بصفته مقيما حقيقيا للحقب الزمنية المختلفة ' من أجل إبراز آثار هذه الحقب عليه وعلى إنتاجه من جهة ثم الوقوف على مدى اندماجه بالحقيقة الشعبية عن طريق فتح حوار بينه وبين الواقع من جهة أخرى ' وأخيرا النظر فيما إذا كان هذا الروائي قد استطاع أن يبرز بنصه العلاقة الجدلية بين الزمنيين ' السياسي مع الفئات الاجتماعية المنتمية إليه . وكذلك الشعبي وما يتداوله من تطورات وما تحمله من أبعاد[1].

تحدث محمد بشير بويجرة في هذا الفصل أيضا عن الصعوبات التي واجهها الروائيون الإنسان الجزائري المثقف . وما فعله واعتمده المستعمر الفرنسي والإسراع إلى غلق منافذ التنفس الثقافي العربي ' وخاصة منه ذي النزعة الثورية . فأغلق المدارس العربية التي كان يشتم فيها المحافظة على اللسان العربي ' وإصدار أوامر بمنع أي كتاب بالغة العربية يشير إلى قضايا الثورة أو الحرية أو القضايا الفنية الراقية المساعدة على تكوين ذوق جمالي رفيع قادر على إنتاج نصوص أدبية تتوفر على مقاييس فنية قد تساعد على إفشال مخطط المستعمر .[2] كما تحدث عن إنشاء مدارس فرنسة وضعت تحت تصرفها أموال وإمكانيات رهيبة قصد تشجيع الأهالي على الانتساب إليها بمنحهم جوائز مالية أو تذاكر سفر إلى فرنسا للاطلاع على المجد الحضاري أو إعطائهم هدايا ثمينة تمجد الحضارة الفرنسية وعظمتها ' وقد ساعدت بعض الفئات إلى هذه المدارس حتى تخرجوا في شتى العلوم والاختصاصات ومن نتائجها تقدم الرواية ذات التعبير الفرنسي في الجزائر وجودا فنيا على متونها ذات التعبير الغربي .[3]

يرى محمد بشير بويجرة أن الذين فضلوا الحرف الفرنسي لصناعة النص الروائي قد وجدوا أنفسهم يتعاملون مع لغة لا يعرفها بقية أبناء وطنهم فلم تعرف روايتهم إلا بعد أن أنتجت أفلام سينمائية وتليفزيونية باللهجة الشعبية ' في حين كان أصحاب هذه الروايات يحوزون على الجوائز العالمية في باريس التي تعتبرهم رواد أمتهم في كل المجالات ' على الرغم من التناقض الصارخ بين هذا النوع من المبدعين وبين الواقع الاجتماعي .[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 61

[2] المصدر نفسه ص 62

[3] المصدر نفسه ص62

[4] المصدر نفسه ص 63

كما يرى بأن المبدعين في حقول الحرف العربي والذين كتبوا بالحرف الفرنسي اضطرارا مثل **مالك حداد** وغيره فقد صادفتهم عواقب جمة ' تتلخص في انعدام وسيلة التثقيف باللغة العربية وسيطرة الجهل سيطرة كاملة على أبناء الطبقات الشعبية الوطنية التي فضلت المحافظة على خصوصيتها الثقافية والعقائدية ثم المتابعة الإرهابية من قل الشرطة الفرنسية [1].

ومن خلال هذا ووفق ما تناوله محمد بشير بويجرة في الكتاب فإنه قد اعتبر اللغة العربية الفنية تعاني من حالة التقوقع والانطواء، وهذا ما دفع مثقفيها إلى الشعور بالتأخر عن أداء دور ريادي في مجالات الابداع والتنظيرين الفكري والفلسفي . وهي المجلات التي تلعب دورا بارزا في البيئة الثقافية والفنية عند مبدع الرواية [2].

فكانت مأساة الروائي باللغة العربية تتخرج بين الحقيقة الشعبية الخاضعة لزمن متوتر، قلق يصعب الإمساك به ' وبين الحقيقة السياسية التي كانت تصر على تقمص زمن مستقبلي في الوقت الذي كانت دون أن تشعر ' تبني فيه أفران لحرق الماضي ' ونتيجة لارتباط الحرف العربي بهوية الروائي في الجزائر ' هجرة ومعاناة واضطهادا، ظل هذا الحرف يشكل الرصيد والهوية الذين يربطانه بالزمن المقدس الذي تعيشه الذاكرة الشعبية المرتبطة جذورها بالتراث العربي الإسلامي [3]. ولعل هذا الجانب هو الذي خلق نوعا من الإدراك والوعي بدور الزمن وأهميته .

ويرى محمد بشير بويجرة أن الفترة الممتدة ما بين سنتي 1954 و1962 فترة زمنية ثرية في مجال الخبرات والتجارب السلوكية ' إذ بفضلها بدأت الذات الوطنية تباشر الفعل ' بعد أن كانت تختزنه في سبيل الغوص داخل دهاليز الزمن عوض الاستماع إلى حكايات أبطالها وعظمائها التاريخيين ' ونتيجة لتلك المباشرة الفعلية للعمل الإيجابي " الثوري " داخل الإشكالية الزمنية وجدت الذات الوطنية نفسها وجها لوجه مع الموت الظاهرة الطبيعية التي تكسرت دونها أقلام الفلاسفة والمفكرين الذين اعتبروها أساسا من أسس الزمن ومرحلة مهمة من مراحله ' باعتبارها الحلقة الأخيرة في سلسلة الوجود للفرد [4].

---

[1] المصدر نفسه ص 63 - 64

[2] المصدر نفسه ص 64

[3] المصدر نفسه ص 65

[4] المصدر نفسه ص 67 - 68

واعتبر محمد بشير بويجرة أن المجال لم يفسح أمام الذات الجزائرية عن طريق المناظرة والإقناع الفكري لمناقشة قضايا الموت والوجود والزمن ' لأن السلوك الآنف الذكر شيمة من شيم التواجد الثقافي الراقي ' أما في الجزائر فلم يكن الموت سوى حدثا قدريا يمكن أن يحدث وأن يتجدد في كل ثانية ' بل أصبح يؤكل ويشرب ويتلقع به في كل الفصول والأوقات ' مما شكل قلقا واضطرابا وجوديين خطيرين تجليا بصورة واضحة في تلك المباشرة في طرح القضايا الفنية التي ستتوفر عليها معظم الإبداعات الأدبية بعد ذلك .[1]

ووفق هذه المعطيات يرى محمد بشير بويجرة أن رهافة الحس بالزمن من عند الروائي تنمو وتتطور ' مما ساعده على مزج هويته بين اللحظة الآنية وبين الزمن الماضي ليجعل من ذلك المزيج هما طاغيا على كل ما عداه ،' مما يؤكد الاعتقاد السائد حول تأثير الزمن في الأشياء تأثيرا دراميا تجتمع فيه عناصر الحياة والموت معا ' إذ لا نكاد نعثر على نص واحد يخلو من ذلك الحنين الجارف إلى الماضي المرسومة على أديمه أثار البؤس والشقاء أو من التمسك الشديد بالحاضر المحفوفة جوانبه بالأهوال والارتجاجات .[2]

ومن خلال ما سبق وكخلاصة لدهاليز هذه الإشكالية يقول محمد بشير بويجرة بأن الفترة التي أعقبت الاستقلال امتازت بالقلق السلبي الذي أثر على البعد الوجودي وساعد على خدش الرؤية الثقافية المفيدة لعلاج الجروح التي تراكمت على مر الأزمنة ' وخاصة بعد أن بدت مواقف بعض المثقفين غامضة أو متذبذبة ' أو تغلفها الذاتية المفرطة التي جعلت " الأن " جوهرا للصراع بين كل الفئات والطبقات .[3]

وبالعودة إلى الكثير من النصوص الروائية المكتوبة بين سنتي 1970 و1978 وجد محمد بشير بويجرة ائتلافا غير مبرر بين ما تضمنته تلك النصوص من هموم تخدم في الغالب الأعم الزمن السياسي حينا ' وتبين عن نزاعات فردية مشبعة بإيديولوجيات أجنبية تتناقض مع حيثيات الواقع حينا أخر .[4] وأية ذلك التناقض تذبذب بعض الروائيين عند الحاجة إلى اتخاذ مواقف فنية ناضجة لصالح الواقع الشعبي ' فكان البعض يفتخر بما ركيته ويأنف الانتساب إلى الطبقات الفلاحية ' والبعض الأخر يقلل من الزمن الحاضر بتفضيله الهروب إلى زمن الثورة

[1] المصدر نفسه ص 68

[2] المصدر نفسه ص 68

[3] المصدر نفسه ص 72

[4] المصدر نفسه ص 76

′ أما الفئة الثالثة فكانت تهوى رسم الأحداث " البرونوغرافية " أو التحدث عن المرأة من جانبها الإغرائي الاستهلاكي لا الجانب المنتج الفعال داخل الخلية الاجتماعية .[1]

لذلك يعتقد محمد بشير بويجرة أن الروائي في الجزائر ′ حاول من خلال نصوصه ′ وحسب ما توفر لديه من ظروف التكوين والاطلاع ′ أن يسجل موقفه من بعض القضايا الفكرية المتصلة بحياته في الدرجة الأولى وأن يعبر عن مجموع الأحداث التي عاشتها أمته فتركت أثارا على ذاكرتها الشعبية في الدرجة الثانية .[2]

ويرى محمد بشير بويجرة أنه عندما حاول الروائي الجزائري فك رموز بعض الاستفسارات صادفته غابة من إشارات الممنوع والمحظور داخل الخريطة الزمنية المشار إليها آنف ′ عندئذ تملكه شيء من الإحباط النفسي ′ باعتباره أحد الذين قال فيهم بريست : " **..هم أبطال تعي الطبيعة البشرية من خلالهم ذاتها . وقلوب تتيح لفتها للجميع ومر ايا تنعكس عليها الوجوه المشابهة لها ...**" كانت بوادر ذلك الإحباط افتقار النص الروائي ′ في بعض الأحيان ′ إلى نوع من الائتلاف بينه وبين الواقع الجزائري[3].

اعتبر محمد بشير بويجرة أن الروائي في الجزائر حاول أن يرسم ′ بالكلمة صورة وافية عن مواقع التقاء الأزمنة ′ و أن يجسد في نفس الوقت . المواقع الحساسة في تلك الصورة حتى تكتمل شمولية النص الروائي فيعود وحده المعبر الحقيقي عن مسيرة وتجربة الذات الجزائرية[4].

ثالثا: النص الروائي مسيرة وتجربة

اعتبر محمد بشير بويجرة النص الروائي كأحد الأركان الأساسية للهم الوجودي في وجه التغيرات المتراصة على ضفتي ذلك النهر الخالد والمدمر ′ ومن هذه الوجهة نبع ذلك الارتباط القوي بين صيرورة المادي بجميع أشكاله ورموزه ′ وبين نشوة المقدس المهيمن على نبضات الوجود الداخلي الذي يطمح في كل الحالات إلى تحيق ما يمكن وما يجوز وما بحوزة حقيقة حتى لو أدى ذلك الطموح إلى مواقف مأساوية بين ذلك المادي وبين تلك الذات الوجودية ′

[1] المصدر نفسه ص 76

[2] المصدر نفسه ص 76

[3] المصدر نفسه ص 77

[4] المصدر نفسه ص 80

ويبدو لمحمد بشير بويجرة أن النص الروائي يضل دائما هو المعبر الحقيقي عن ذلك الجزء المهمش من الوجود لأنه الوحيد القادر على تتبع نغمات التأوه ورصد أماكن التألم ' المبرران الأساسيان لذلك التنوع والتناغم في بناء جمالية النص [1] .

يرى محمد بشير بويجرة أن النص الروائي وتاريخيته في الجزائر ' لا يكادان يخرجان عن المحتوى العام لفكرة هذه المقولة ....**سوف يمكون تقدما باتجاه المزيد من الألم ...في عالمنا لن تكون هناك عواطف غير الخوف والغضب والغلبة وامتهان الذات ...** حيث إن مجالات المعالجة لمثل هذا الإحساس لدى الذات الإنسانية تكاد تكون متحدة عند الشعور بخطر داهم ' في حين تضل مجالات المعالجة لمثل هذا الإحساس وأسبابه بات اختلاف بين .[2]

كما يرى أيضا أن ذلك التنوع والتناغم هو الذي جعل تلك النصوص في كل مضامينها تلتصق بلحمة هموم الواقع وإفرازاته ' تلك الهموم التي لم تبتعد عن كونها خليطا من الطموحات والرغبات المكبوتة خلال أزمنة مختلفة ' وما كان ليبرز ذلك الالتحام في مثل هذه النصوص لو لم يكن عالم الرواية يرتكز.... **"على الخيال الإبداعي لاكتشاف الو اقع وتفسير مواجهتنا له من خلال إمكانات اللغة وتقييمنا الفاعل له بطريقة إنسانية تامة وحسب ما تتيح لنا إمكاناتنا اللغوية ...."** [3]

وأشار محمد بشير بويجرة إلى أن تلك الهموم والإفرازات كانت أعتى من الآمال والمنجزات فقط طغت على نسبة كبيرة جدا من النصوص الروائية مسحة من التشاؤم ضاعفت من عدم العناية بالزمن الحاضر كما رسمته السلطة السياسية على أرض الواقع الخارجي ' لا كما هو كائن بالفعل داخل الذات الشعبية وتلك اللمسة قد لا نجدها صراحة في كثير من الأحيان لكننا لا نخدمها تتخلل النص بكثافة وعمق ممتزجة امتزاجا غريبا مع البنية الزمنية ومع بقية الأجزاء الفنية للنص[4].

هذا ما جعل محمد بشير بويجرة يقول بأن **" هناك خلل وجودي زمني يتحكمان في كينونة الذات الجز ائرية** .[5]

---

[1] المصدر نفسه ص 83 - 84

[2] المصدر نفسه ص 84 - 85

[3] المصدر نفسه ص 88

[4] المصدر نفسه ص 89

[5] المصدر نفسه ص 89

وقد كشف محمد بشير بويجرة الدلائل الفنية لذلك الخلل في التعامل مع الزمن الحاضر حيث إنها تتجلى في اعتماد النص الروائي على أسلوبين إثنين هما : اعتناق زمن الثورة اعتناقا قد يبدو مبالغا فيه ′ وطغيان النظرة التشاؤمية ′ أو القلق الخارجي على معظم الشخصيات الروائية وهي تتفاعل مع أحداث الزمن الحاضر ومخرجاته .[1]

تحدث محمد بشير بويجرة عن رواية " معركة الزقاق " لرشيد بوجدرة واعتبرها قد نجحت في محو ..."الفوارق بين الشعور واللاشعور وبين اليقظة والحلم وبين الدقيقة والوهم ....بل وبين الماضي والحاضر ′ والتاريخي المعاش ′ فيمكن التساؤل عن الدوافع الفنية والموضوعية التي تحكمت في بناء عالم هذا النص ′ وهو التحكم الذي جعل المظاهر السلبية تطفو على السطح في حين تضل الجوانب المضيئة والايجابية غارفة في النسيان والإهمال على الرغم من أن الروائي بعمله هذا يفتح صفحة مشرقة من صفحات ماضي الأمة العربية الاسلامية .[2]

وبالعودة إلى أحداث هذا النص الروائي وجد محمد بشير بويجرة وبعض الأدباء الآخرون أنفسهم أمام شبكة من الأحداث يمتزج فيها الثاني بالموضوع ′ والمأساة بالملمات ثم الماضي بالحاضر حتى عادت الريادة في تلك الشبكة " الآن " الطاغي على الخريطة الاجتماعية وجدليتها في مفهومها الإبداعي بعد قول الروائي "... إن رواية معركة الزقاق ′ هي أكثر الروايات التي عبرت عن ذاتي ′ بحيث أني قد عايشت جل أحداثها وشخصياتها .[3]

كما أشار محمد بشير بويجرة بعدئذ إلى ذلك الفرق الجوهري بين قصتي رائدي الرواية الجزائرية " طاهر وطار ورشيد بوجدرة " ذات الاتجاه اليساري الكامن في منهجين مختلفين ′ المنهج الاجتماعي الإيديولوجي وهي التي تعاني من الاستسلام والخضوع إلى الفصل الثوري الملتزم فاستطاع الكشف عن تلك التناقضات التي رافقت الفصل الثوري ′ في حين انحصرت نجاعة المنهج الثاني في محو الفوارق الشكلية بين المعاناة وبين الأحداث المعاشة .[4]

أكد محمد بشير بويجرة أن هذين المنهجين لم يكونا الوحيدين في مجال إبداع الرواية ′ بل كانت هناك مذاهب فنية في التعامل والبناء مما تسمح بإثراء خريطة النص وتعميق دلالاته ′ حتى أصبح عبارة عن نسيج محكم نشرت فوقه الذات الجزائرية التي ظلت تئن تحت أنقاض

[1] المصدر نفسه ص 90

[2] المصدر نفسه ص 94

[3] المصدر نفسه ص 95

[4] المصدر نفسه ص 96

الكثير من الحوادث والتوترات النفسية ′ التي كانت تتضح ككرة ثلج كما يقول بيرغيسون عبر تدحرج الزمن وإفرازاته ابتداءا من لحظة الولادة بين عاري الجدران إلى هذا اليوم الذي ظل فيه ذلك البيت على شكله دون تعديل ′ ولقد تحولت هذه التوترات إلى مرض نفسي مع مرور الأيام ساهم في قسط وافر في زرع المشاعر المضطربة التي " يتقلب عليها التألم بشكل واضح "[1] .

ونتيجة لتلك المزاوجة التي كان ينتجها الروائيون الجزائريون بين الجانب الإيجابي للزمن وبين جانبه السلبي ′ بين الذات والموضوع ′ برز تناقض الأزمنة بشكل حاد .[2]

يرى محمد بشير بويجرة أن غياب الرؤية الزمنية المتفائلة داخل البنية الاجتماعية هي التي كانت تجر رداء الماضي المحمل بخيرات الذات المبدعة الطامعة في " الخروج من دائرة الأحاسيس الشخصية والانفعالات الفردية من أجل الامتداد نحو عالم الأشياء والموضوعات والأحداث الخارجية..." .[3]

رابعا: الزمن الخارجي بين الجبر والاختيار

استنادا لما ورد في الفصول السابقة أشار محمد بشير بويجرة إلى الزمن الخارجي وذلك من خلال مقدمة صغيرة كان قد كتبها مطلع هذا الفصل،بحيث يرى محمد بشير بويجرة أن الزمن الخارجي هو المدد الذي بنيت فوق أديمها أحداث الواقع المادي المعاش بأنواعه المختلفة ′ سواء كان ذلك الواقع إطارا لأمة أو فئة أو لفرد واحد ′ وسواء أكان واقع بالضرورة عن طريق الظواهر الطبيعية (الزمن الطبيعي) أم الاختيار بواسطة الاهتمام بقضايا معينة ومحددة ويتتبع أثارها النفسية " الزمن النفسي) .[4]

كما يرى أن بعض من تلك القضايا مسلمات لا يحتد حولها النقاش إلا نادرا ′ وبما أن استراتيجية الجزائر وأهميتها تدخل ضمن هذه المسلمات فإن الزمن الخارجي وعلاقته بالنصوص الروائية في الجزائر كان ذا أثرين على السيرورة الوجودية ′ لذا فإنه يحتاج إلى وقفة قصيرة لإجلاء بعض الحيثيات والخصوصيات التي أضفتها السلطة الوجودية على الذات ′ وهي

---

[1] المصدر نفسه ص 97

[2] المصدر نفسه ص 97

[3] المصدر نفسه ص 99

[4] المصدر نفسه ص 114

الخصوصيات التي جعلت الزمن الخارجي رافدا غنيا للأحداث التي قد لا يتوفر عليها زمن أية أمة أخرى إلا نادرا جدا .[1]

واستنادا على السلطة الوجودية للزمن الخارجي في بعث " النشاط النفسي للفرد المبدع ودراسته ...." فإن الأمر يتطلب دراسة الفترات الزمنية الطويلة التي يمر به النشاط المبدع من طرف الأديب بالعالم الخارجي الموضوعي الذي يظل يتأثر به ويأخذ عنه ..." لذا يجب الإقرار بأن ذلك الزمن حسب المعطيات السابقة كان ذا تأثير بين على المنظور الإبداعي الروائي في الجزائر .[2]

تطرق محمد بشير بويجرة لإبراز تلك السلطة وإجلاء بعض مظاهرها في مجال الإبداع الروائي وذلك عبر أربعة زوايا . أولى تلك الزوايا تمتد ما بين 1830 - 1945 والتي كان فيها الزمن الخارجي خاضعا للتركيبة الاستعمارية وأيديولوجيتها .[3] وكانت عبارة عن مواقف مأساوية صارع فيها الإنسان الجزائري الموت والاندثار مما دفع بعض الباحثين إلى القول بأن تجاربهم مع الزمن الخارجي كانت قاسية ومؤلمة . والشيء الذي انعكس على خبراتهم وتجاربهم وجعلها خالية من المحتوى الفكري الجدلي العملي بنفس القدر الذي كانت معبأة به سياسيا وإيديولوجيا وذلك لكونها كانت تتم عن رغبة في الاستقلال بالدرجة الأولى .[4]

أما الفترة الثانية فهي منحصرة بين 1954 - 1962 والتي غاص من خلالها محمد بشير بويجرة في أعماق الزمن الخارجي الذي أصبح يزرع الموت والدمار جهارا وعلانية ' فأجبر الإنسان الجزائري على العمل العسكري إما مع جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير ' أو مع جنود الاستعمار ' وفي كلتا الحالين كان الموت يضيق عليه منافذ الوجود ويسدها ' لأنه في انتمائه للثوار سيجعل الاستعمار يقتله في أية لحظة . وفي التحاقه بالاستعمار سيجعل رقبته تحت شفرة سكين في أي لحظة أيضا .[5]

يرى محمد بشير بويجرة أنه وفي خضم هذه المعاملة وبين فصول تلك المأساة التي ألفت فصولها حدة الزمن ونوائب الدهر ' ازداد التمسك أكثر بزمن الآخرة الزمن المقدس كما يسميه

---

[1] المصدر نفسه ص 116

[2] المصدر نفسه ص 116

[3] المصدر نفسه ص 116

[4] المصدر نفسه ص 118

[5] المصدر نفسه ص 119

" ميرسيا لياد " وهو الزمن الذي كانت تتجسد مظاهره في عدو الخوف من الموت . والاندفاع نحوه في كثير من الأحوال للحصول على الموت في سبيل الله ' إحدى السبل المؤدية إلى ذلك الزمن الذي لا يفنى ولا يتغير .[1]

يقول محمد بشير بويجرة : بأن وتيرة ذلك الزمن كانت جديرة بأن تزرع في النفوس حب الغد والتطلع إليه . غدا الاستقلال والحرية في نفس الوقت الذي كان لها القدرة على ذر بذور القشعريرة والخوف من الزمن الحاضر .[2]

أما الفترة الثالثة فهي الممتدة ما بين 1962 و1970 وهي التي شهدت زعزعة الرؤية الوطنية الواضحة والكفيلة بإنتاج مجالات ثورية تساعد على إبراز حركية الزمن وجدواها التي كانت صيرورتها التاريخية ' على الرغم من كينونتها الفلكية باهتة إذ لم تكن منعدمة ' وذلك حين عجزت عن خلق إنجازات جديد تضاهي ما قامت بثورة التحرير أو على الأقل إنجازات جديدة بمعاناة الذات الوطنية وآمالها .[3]

يقول محمد بشير بويجرة حيال ذلك : إن ما يقرب من ثمان سنوات كانت زمنا ميتا على المستوى الحداثي إن لم نقل بأنها كانت تشكل البؤرة التي أوقفت مشروع تحقيق الغد المتخيل .... أما بؤرة ذلك الإحباط ومكمنه فتجسد في انقلاب 19 جوان 1965 الذي كان صدمة كبيرة لحركة الزمن الإيجابية وتطوراتها .[4]

وأما الفترة الرابعة فهي تمتد ما بين 1970 - 1988 وهي آخر فترة من تلك السلطة الوجودية لزمن الخارجي ' قسم محمد بشير بويجرة هذه الفترة إلى مرحلتين تنتمي أولاهما بموت المرحوم هواري بومدين وتبدأ الثانية بتولي الشاذلي بن جديد مهام السلطة .[5]

القسم الأول هو الذي كان ممتدا من سنة 1970 - 1979 حين كانت القيادة السياسية قد استقرت عل نهج الاشتراكية فعمدت إلى بناء المصانع وتأميم الشركات والموارد الاقتصادية وعزمها على تطبيق الثروات الثلاثة الصناعة والزراعة والثقافة ' وفي بداية هذه المرحلة كانت القيادة السياسية قد أتمت نهائيا إجراءات إسناد مهام قيادة الزمن الخارجي إلى الزمن

[1] المصدر نفسه ص 120

[2] المصدر نفسه ص 121

[3] المصدر نفسه ص 121

[4] المصدر نفسه 121

[5] المصدر نفسه ص 123

السياسي .طمعا في الإسراع بتطبيق أيديولوجيتها السياسية . وبما أن الزمن السياسي كانت تحكمه زمنية خاصة من مع الواقع الشعبي برزت نتوءات داخل السيولة الزمنية الخارجية ' فبدأ يغشى تطبيق القرارات نوع من التعسف والقهر ' وبدأ الالتزام السياسي يفقد مصداقيته لدى الواقع الشعبي وزمنتيه .[1]

أما القسم الثاني فهو عندما انتقلت مقاليد الزمن السياسي إلى الشاذلي بن جديد، ' فكانت الذات الوطنية هيكلا عظميا تتخذه أمراض اجتماعية قاتلة ' وهذا ما أدى بالرئيس الجديد إلى الإسراع في فتح مجالات الديمقراطية صوب الكثير من الاتجاهات وإلى التعديل في توجيهات الزمن السياسي . حتى تلتئم بالزمن الشعبي وأن تقترب قدر المستطاع من الزمن الداخلي لكل فرد .[2]

لقد سرد محمد بشير بويجرة بعض مظاهر التعديل منها المراجعة المنصبة على الثورة الزراعية وميثاقها وتعديل دستور البلاد سنة 1986 ....كل ذلك كان كافيا ليبرهن على حسن نية الزمن السياسي الجديد في خلق تناغم إيجابي بين الزمنيين السياسي والشعبي لمسايرة الزمن الخارجي .[3]

وقد تجلت تلك النية الحسنة في الإصلاحات الاقتصادية والدستورية التي كان الهدف منها تغييرا شاملا لسلطة الزمن السياسي .[4]

خامسا: زمن الخلق ورغبة التطهير

في مطلع هذا الفصل أشار محمد بشير بويجرة إلى أن العملية الإبداعية لابدا لها من فضاءين ' : **الفضاء الأول** يتشكل منه النسيج العام للأحداث الموضوعية التي اختزنتها الذات المبدعة عبر الحقب الزمنية المعاشة فتصبح تلك الأحداث بمثابة الأوعية الحاملة في جوفها جذور الرغبة في تفريغ الشحنات الإبداعية وذلك الفضاء هو الذي يتكفل بحمل لوائه الزمن الخارجي ' **أما الفضاء الثاني :** فهو الذي تكون فيه الذات المبدعة قد بلغت ذروة التضخم والإشراق فتكتنفها رغبة جامحة في اقتطاع شرنقة حية من كينونتها وتدعها تترعرع بين

[1] المصدر نفسه ص 123

[2] المصدر نفسه ص 125

[3] المصدر نفسه ص 125

[4] المصدر نفسه ص 126

أحضان نتوءات الحاضر ومنعرجات المستقبل وذلك ما يطلق عليه زمن الخلق .[1] بحيث يرى محمد بشير بويجرة أن زمن الخلق هو الفترة الزمنية التي يبدع فيها الأديب نصه وبالتالي فهو لا يخرج عن كونه شق أخر من رداء الزمن الخارجي ′ ولذا فهو غالبا ما ينحصر في فترة محددة تحديدا دقيقا ودالا على بؤر التوترات العاطفية والفكرية المحملة بهموم الزخم الإبداعي .[2]

وقد عمل محمد بشير بويجرة على تحديد المجال الزمني الذي أبدعت فيه كل الروايات التي سيدرسها محمد بشير بويجرة في بحثه هذا وهي الفترة الممتدة بين سنتي 1970 - 1986 وتتجزأ هذه الفترة إلى مرحلتين هما : **مرحلة المد الثوري والاندفاع الإيديولوجي** اللذين امتدا من 1970 إلى 1979 مع مرحلة الهدوء والتريث التي بدأت من سنة 1979 إلى 1986 .[3]

يرى محمد بشير بويجرة أن الفترة الأولى مرحلة حاسمة في مجال الإبداع الروائي وفي مجالات توجيه نحو إيديولوجية السلطة في كثير من الأحيان . وكانت هذه السلطة تمارس تحكما قوي في مجريات الأحداث الريفية بواسطة الثورة الزراعية ′ وفي الاستحواذ على الرأي العام داخل المدن عن طريق الجامعات والمعاهد العليا والإعلام ′ بصفتها وسائل داعية قوية وفعالة في استقطاب اهتمامات الذات الوطنية المتحكمة فيها أطر معرفية تنتمي في تصنيفها إلى التعلق بالأرض وبالموت دون الشرف والحرية وقد يكون ذلك التحكم سبب في عجز حركية الزمن السياسي وآلياته عن جر الذات الوطنية نحو الابتعاد عن التعامل وفق تلك القيم والرموز .[4]

كما لاحظ محمد بشير بويجرة أن الإنتاج الروائي كانت نسبة 90 % منه تدور مضامينه حول مزايا الثورة الزراعية ′ أو الترويج للإيديولوجية الاشتراكية أو في تمجيد الاتحادات والنقابات وفصلهما على العمال والطلبة والشبيبة والنساء إلى غير ذلك من المضامين المرتبطة بالخطاب السياسي [5] وبناء على العديد من المعطيات التي جاءت في هذا الفصل فإن زمن الخلق حسب محمد بشير بويجرة عبارة عن مرجع محكم الغلق ′ تنصهر فيه مجموعة من العناصر المنتمية وجوديا إلى جمع حضاري واحد هو هذه الأمة والمختلفة في تركيباتها

[1] المصدر نفسه ص144

[2] المصدر نفسه ص 144

[3] المصدر نفسه ص 145

[4] المصدر نفسه ص 146

[5] المصدر نفسه ص 146

الكيمياوية المتكونة من نوازع ومشارب شتى ' مما ساعد على ارتفاع سرعة زمن الخلق واحتدام حركتيه حتى أمست الذات الوطنية لا ترى إلا أبخرة تعيق هواء البيئة الاجتماعية ' ثم سرعان ما تتلاشى هذه الأبخرة وتضيع داخل النغمة الإبداعية لدى بعض المبدعين .[1]

وبعد الغوص في عالم النصوص الروائية المنتجة خلال الحقبة المشار إليها وجد نفسه مضطرا للانضمام إلى كوكبة من النقاد الذي يعتقد بأن إنتاجه الروائي وإنتاجهم . في مضامينه كان يفتقر إلى الموضوعية والصدق الفني لدى بعض المبدعين الذين كانت لهم مصلحة طبقية أو إيديولوجية في الصراع الدائر عبر دهاليز الزمن الخارجي وداخل ممرات زمن الخلق في سياق التضاد الآنف الذكر .[2] وبعد الغوص أيضا لاحظ بأن زمن الخلق استمد نبع مأساته ووحدته من الجامعة والمدينة والقرى والمداشر لأن الروائي نصب نفسه مدافعا عن مصلحة الريف وعن هموم وطموحات المدينة داخل نصوصه الروائية .[3]

واختار محمد بشير بويجرة رواية " ربح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة وشرح دلالات هذه الرواية ودرسها دراسة معمقة خصوصا شخصية نفيسة .

أما الفترة الثانية لزمن الخلق فهي الممتدة ما بين 1979 - 1986 وبعدما قرأ محمد بشير بويجرة النصوص الرواية المبدعة خلال هذه الحقبة من الزمن . يرى أن هناك إعادة النظر في كيفية وعي حركة الزمن عبر فضاءاته المختلفة ' كما كانت هناك بوادر تشير إلى عودة لقراءة الذاكرة الشعبية ولفهم الذات الوطنية وزمنيتها ' ويتجسد ذلك كله حسب ما أفرزته النصوص الروائية في رفض الصفة الأبوية للمدينة على الريف وترك الحرية الكاملة للمثقف لاختيار المواقف التي يؤمن بها ' وابتعاد الزمن السياسي قدر المستطاع عن التدخل في صياغة أحداث الواقع اليومي وتلوينه بلون معين مما سارع يكشف المواقف الحقيقية لكل المبدعين الجزائريين وتوضيح صورتي الريف والمدينة . فأيد الطاهر وطار الإبداع باللغة الفرنسية ودعا إلى الاعتراف باللهجات الأمازيغية ' واتزن عبد الحميد بن هدوقة في تعامله مع الريف عندما أعاد النظر في كثير من القضايا المتعلقة بالريف وبالثورة الزراعية كما تعرت المدينة إبداعا .

---

[1] المصدر نفسه ص 148

[2] المصدر نفسه ص 149

[3] المصدر نفسه ص 150

فانكشفت صورتها الحقيقية الكامنة في الذاكرة الشعبية التي كانت عبارة عن وكر للاستهلاك . وبرج لصياغة القرارات السياسية وساحة للصراعات الفتاكة من أجل المناصب[1].

اختار محمد بشير بويجرة رواية " زمن النمرود " للمؤلف الحبيب السايح كمثال لذلك . لأنها يمكنها أن تكون قاطعا في هذا المضمار وهي الرواية التي رصد مؤلفها أحداث تكشف ما يجري داخل المدينة من صراعات وما يخطط فيه من مكائد وطموحات ′ على الرغم من أن مؤلفها يوهمنا بأنه يقصد إلى الكشف عن خبايا وأمراض جهاز الحزب الحاكم وإدارته .[2]

واستنادا لما جاء في الرواية ودون الخوض في أحداثها وبعد أن درسها محمد بشير بويجرة دراسة معمقة ، كان قد لاحظ بأن "زمن الخلق " داخل التجربة الروائية الجزائرية شكل وحده عالما مأساويا تداخلت معطياته وتشابكت تحت عتمة الواقع الاجتماعي المتميز بحساسية ثقافية معقدة شارك في إحكام التواء اتها المستعمر عن طريق بث لغته وإيديولوجية وسط شرارة الواقع الجزائري .[3] فرأى محمد بشير بويجرة أ ن الواقع الجزائري بات مالكا لزمام أموره بعد الاستقلال .و فقد هالة الإرث الثقيل الذي غطته الأحداث والفترات الزمنية المنزعة بكؤوس الغبن والمأساة .[4]

سادسا: الزمن الداخلي بين خيرة المبدع وثقافته

مطلع هذا الفصل أشار محمد بشير بويجرة إلى دلالتي مصطلح ّالزمن الداخلي " اللتين تعين إحداهما الأخرى بواسطة علاقة تلازمية ودائمة دوام الزمن نفسه وتنطوي الدلالتان تارة تحت الزمن الداخلي للنص ذاته في مفهومه البنائي الجمالي الخاضع بالضرورة للمعمار المفضل لدى المبدع ذاته ... وتارة أخرى ينصب على الزمن المنهمر داخل الشخصية الروائية ′ وتمتد جذور هذا الزمن في الذكريات والآمال المنهمرة عبر التشققات العاطفية والمتداولة بين الانفعال والهدوء حينا ′ وبين الحدة والفتور حينا آخر ′ لذا كان يحلو لكثير من المهتمين بهذا الميدان أن يطلق عليه مصطلح " الزمن النفسي " [5] المصطلح الذي سيحاول محمد بشير بويجرة شرحه في هذا الفصل .

---

[1] المصدر نفسه ص 159

[2] المصدر نفسه ص 160

[3] المصدر نفسه ص 172

[4] المصدر نفسه ص 172

[5] المصدر نفسه ص 176

تحدث محمد بشير بويجرة عن الغاية الأساسية لهذا الفصل التي تصبو إلى فتح كوة في جدار الهم الاجتماعي الفني القانع على مجموع التراكمات والإفرازات عبر مئات السنين والأحداث . قصد الإشراق لما وراء اللحظة الآنية التي تحوم حول ضفافها جملة من القضايا والاهتمامات قد تميط اللثام عن تفاصيلها وتبين عن جوهرها زمنية النص الداخلي [1] وتبرز أولى ملامح ذلك الاهتمام وجوهر تلك الزمنية في إصرار كل النصوص الروائية على اختراق جدار الواقع الآني والكشف عن تعرجاته ومنحنياته المتناثرة حولها رموز استفهامية جديرة بالمناقشة والطرح دون الإخلال بميكانيزمات الواقعين السياسي والاقتصادي الذين يتحكم في لعبتهما الزمن السياسي وأجهزته المختلفة كما سبق الإشارة إليه في الفصول السابقة .[2]

يرى محمد بشير بويجرة أن " الحاضر " كان يمثل الركيزة الأولى التي يبنى عليها كل معمار روائي في الجزائر خلال الحقبة المدروسة .[3]

وليوضح الكاتب الفكرة الأساسية للفصل اتخذ من بعض الروايات مثالا وقام بتبيان جوهرية تكرس هيمنة اللحظة الأنية على ماهية البناء الزمني وعلى داخلية الذات والوطن في الكتب الروائية الجزائرية تتمثل هذه الروايات في **رو اية اللاز ، التفكك ، زمن النمرود ، صوت الكهف ، وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر ، البحث عن الوجدان الآخر....ريح الجنوب ....**

ذكر محمد بشير بويجرة بعض الأمثلة من بعض هذه الروايات التي تكرس هيمنة اللحظة الأنية نذكر منها " **...كانت ريح الجنوب قد سكنت منذ أن طلع أول شعاع للفجر مصافحا قمم الجبال ومحا من يعبر ما واجهه من تراب القرية التي قضت ليلتها تحت الغبار والدوي العنيف ...**" [4]

إن محاولة غزو اللحظة الآنية جادة وأدواتها بينة في هذه الفقرة . وهي أولى الفقرات التي خطت في سجل الرواية الجزائرية .[5]

---

[1] المصدر نفسه ص 177

[2] المصدر نفسه ص 178

[3] المصدر نفسه ص 178

[4] المصدر نفسه ص 178

[5] المصدر نفسه ص 179

يقول محمد بشير بويجرة : إن الواجهة الأمامية لروايتي اللاز والبحث عن الوجه الآخر تميط اللثام عن ذلك الضغط الذي تمارسه اللحظة الآنية على المعماري الروائي ولقد أدى هذا الضغط الذي تمارسه اللحظة الآنية في أخر الرواية إلى تدفق مأساوي عبر الذات والأحداث وضمن عملية القص وسط تجويفات الصيرورة الزمنية ....[1] ويرى بأن " زمن النمرود ترمي إلينا بحاضر آخر بعيدا عن حاضر الريف ′ حاضر الهواجس الذاتية ′ حاضر يحط رحاله وسط الواقع الاجتماعي المدني المهيمنة عليه الأقاويل وقرارات الكواليس التي غالبا ما تصنع الحدث السياسي والاقتصادي والجنسي داخل النص الذي تتصدره اللوحة التالية " ... قهوة المولودية هذا الصباح ′ كانت المصدر الأول تفسخ فيها الخبر .... أخبار تتعلق باختلاس أموال الدولة وأخبار أخرى تدور حول الفضائح الجنسية أكبرها كانت هذه السنة ..." .[2]

أما السؤالان اللذان تطرحهما " صوت الكهف ووقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر " فيمكن الارتقاء بهما إلى مستوى علاقة ميتافيزيقية بين " الأن " وما يشوبه من قلق وتذمر ′ وبين حركة الفعل الوجودي المترتب ′ أبدا إلى ما بعد الأن وما تحت القلق وذلك حين يتفسخ السؤال عن ماهية الوجود الفعلي ليلتحق بركب قافلة المصير الغامض ...." وأنت أيها الصوت الغريب من أين مصدرك ؟ لا تبرح تجلجل في الفضاء . والفضاء والأثير يتظاهران على دفع الصوت نحوكم ...." .[3]

ومن خلال الفقرات السابقة يرى محمد بشير بويجرة بأن بروز الزمن الحاضر كقوة ضاغطة حسب ما يستشفي من شفرات الروائيتين الإبداعية لم يكن لعبة فنية . القصد منها إظهار براعة المبدع ′ أو تأثير أصالة جيله فحسب بل كان تطويق يومئ إلى إشكال فكري واجتماعي وجمالي خطير يحتوي في داخله على ... تناقض وعلى تقابل في الاتجاهات وعلى تعرض عملي ... مما أضفى على النص أسلوب عموديا في كشف النقائص وإسقاط التراكمات ثم معايشة الصيرورة الاجتماعية في جدليتها وتناقضاتها .[4] كما يرى أن المبدع الجزائري قد حذا حذو أجداده وأسلافه المبدعين الذين كانو يولون اللحظة الأنية والحاضر أهمية ومكانة بارزتين لاعتبارات متنوعة أهمها الإحساس " ...بأن العمل موقوت وأن الحاضر هو الجزء

---

[1] المصدر نفسه ص 181

[2] المصدر نفسه ص 181 - 182

[3] المصدر نفسه ص 182

[4] المصدر نفسه ص 184

الوحيد من الزمن الذي يمكن الإمساك به " ومن هنا تصدرهم قصائدهم أفعال الأمر ′ النداءات ′ والاستفهامات ′ التي لم تتم كلها عن وجل واضطراب حيال الزمن الحاضر كقول النابغة :

والعيش لا يمش إلا ما تقريه * عين ولا حال إلا سوف تنتقل**

أو قول إمرؤ القيس :

قفا فيك من ذكر حبيب ومنزل * يسقط اللوى بين الدخول وفحومل** [1]

أشار محمد بشير بويجرة أيضا إلى وجود الزمن الماضي داخل النصوص الروائية للمبدعين ′ فالمبدع الروائي قد عاج على ينبوع الزمن الماضي فخلق تلازما بينه وبين الحاضر على أساس أنهما مرتبطين بعلاقة جدلية تواجدية أبدية بحيث أن وجود أحدهما معلق على وجود الثاني .[2]

فالزمن الماضي حسب محمد بشير بويجرة يشكل رافدا قويا من روافد العملية الإبداعية حتى كان العنصر الحاسم في عملية الخلق الإبداعي والأساسي الجمالي الشرعي لكينونتها ، فيصعب العثور على نص واحد يخلو من الارتكاز على فسيفساء الماضي .[3]

ولقد وظف الماضي في صور كثيرة ومتنوعة . وتفاوتت وجهات النظر حول ماهيته وجدواه ... وفي كل الحالات كان الماضي حاضر يسمو النص ويسبغه بألوانه المختلفة ويطعمه بنكهة جمالة خاصة[4]

تطرق محمد بشير بويجرة إلى بعض الروايات التي يتخللها الزمن الماضي من بينها رواية "اللاز " التي تحاول أن تفتح كوة على الماضي في جدار المناجاة الممزوجة بتوجهات سرمدية عبر شقوق القضايا والمصير [5] ويضع الشيخ الربيعي يده على أكره الكوة بعد أن أعياه الوقوف في الطابور وبدأ يناجي نفسه "....إنهم كعادتهم كلما تجمعوا في الصف الطويل أمام مكتب المنح ′ لا يتحدثون إلا عن شهدائهم والحق أنه ليست هناك غير هذه الفرصة لتذكرهم والترحم على

---

[1] المصدر نفسه ص 190

[2] المصدر نفسه ص 191

[3] المصدر نفسه ص 192

[4] المصدر نفسه ص 192

[5] المصدر نفسه ص 193

أرواحهم والتغني بمفاخرهم .....[1]. إن مثل هذه الفقرة تثبت وجود الزمن الماضي في رواية " اللاز " لأنها تتوغل في الذات والتاريخ عبر شقوق الألم والجرح .[2]

ثم تأتي " التفكك" التي يراها محمد بشير بويجرة رواية تطل على ماضي الثورة بنفس القدر من الحماس والتوجه الإيديولوجي ′ حيث نكتفي" بالطاهر الغمري " من أول سطر وهو يحمل على كاهله سنوات الثورة كإرث بشي رهيب زرع في ذاته أمراض جسمية " وعقدا جنسية ونفسية ... وعلى قوافل السيارات المناسبة عن اختلاف أنواعها وطرازها ليمارس شذوذه الجنسي .[3]

ثم تأتي رواية " الانفجار " التي يعتبرها محمد بشير بويجرة صفحة ناصعة البياض عن ذلك الماضي الثورة البعيد عن الانتماء الإيديولوجي المحض والإدانات المجانية وذلك حين ينطلق " صوت عبد الحميد مكاوي " مدويا "...قلت لهم تعلموا العشق حتى الجنون ..." ويقصد بكلامه هذا أمة الجزائر عامة وثوارها خاصة، أما خائنوها واقطاعيوها فيقول لممثلهم " ....لن تزداد يا العامري إلا بعدا من هذا العشق الكامن في أعماق القرية ...و أنت لا زلت دودو تزحف نحو المنطقة المحرمة ....[4] كما تدخل رواية " باب الريح " عالم الزمن الماضي ذاكرة الذكريات والتراكمات التي رصت في اللاشعور ..." ذكريات فيها المفرحة وفيها المحزنة ....".[5] .

واستنادا على كل ما سبق استخلص محمد بشير بويجرة " بأن الزمن الداخلي للنص كان فعالا في تنوع الأحداث وتوجيهها وغنيا في ترصيع جبهة المعمار الفني الروائي في الجزائر نتيجة على ارتكازه على أسسين من أسس الإبداعي : أولهما غني من التجربة المعاشة وتنوعها بالأحداث الصارخة والملتفة بالوجدان والذاكرة مهما طالت الأيام وتمططت السنون .[6] أما

---

[1] المصدر نفسه ص 194

[2] المصدر نفسه ص 194

[3] المصدر نفسه ص 197 - 198

[4] المصدر نفسه ص 202

[5] المصدر نفسه ص 203

[6] المصدر نفسه ص 206

الأس الثاني فكان نتيجة حتمية للعنصرين الأوليين اللذين سمحا للمهجر بتكوين نفسه عن طريق المطالعة والتكوين .[1]

[1] المصدر نفسه ص 207

خاتمة

بعد دراستي لموضوع "الجهود الأدبية" للدكتور محمد بشير بويجرة تمكنت من استخلاص جمله من النتائج أهمها.

في الفصل الأول الذي عقدناه لـ مؤلفه "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث" فقد خلصنا إلى ما يلي

إثبات الدكتور محمد بشير بويجرة لأحقية الأمير عبد القادر في إمارة الشعر العربي الحديث عن محمود سامي البارودي، " وبين أن الأمير قد سبق البارودي زمنيا.

- تحدث محمد بشير بويجرة في هذا الكتاب عن حياة الأمير عبد القادر منذ نشأته حتى صار بهذه الشخصية العريقة متحدثا عن تجاربه الحياتية ومبرزا أهم أشعاره .

أما على مستوى الفصل الثاني الذي كان حول كتاب محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقت/ قراءة في أوديسا الصحراء .... تلك المحبة فقد خلصت إلى ما يلي :

- عمل الكاتب محمد بشير بويجرة على الكشف عن علاقة نص تلك المحبة بالذاكرة من جانبها الحبي (حب الوطن، حب العقيدة، حب المبدأ (...

- وضح الدكتور بويجرة كذلك تأثير الجغرافيا الفعال على كتابة نص " تلك المحبة " وبين أن كاتب هذا النص تأثر بهذا الفضاء.

- أثبت بويجرة أن لغة نص " تلك المحبة " كان ذات أبعاد دلالية متعددة كما أن لغة النص تجنح نحو امتلاك معجم اللهجات الشعبية .

- أكد بويجرة بأن النص متخم بهالة من العجائبية تجعل القارئ يتجاوز المألوف

هذا على مستوى المدونة المعاينة .

أما في الفصل الثالث الذي كان حول كتابه بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري من (1970 - 1987)

- أشار محمد بشير بويجرة الى أن الزمن له دور كبير في العمل الروائي حيث يعتبر من أهم العناصر المكونة له ويتم بطبيعة الأحداث واتصالها وترابطها مع بعضها البعض وذلك من أجل إعطاء الرواية شكلها النهائي.

- بين بويجرة تأثير الفترات الزمنية القاسية على المجتمع الجزائري فحاول أن يثبت تلك العلاقة الجدلية بين البنيتين الزمنية والاجتماعية، كما بين أن الروائي الجزائري هو المعبر الحقيقي عن مسيرة وتجربة الذات الجزائرية .

- أثبت محمد بشير بويجرة محاولة النص الروائي رسم تجارب الأمة وتدوين مسيرتها كما أشار لدور الزمن الخارجي في نشأة النص الروائي، وتأكيده لتوظيف الزمنين الحاضر والماضي في الروايات الجزائرية.

أما على مستوى الخلفيات المحركة لشخصية بشير بويجرة فقد رصدنا ما يلي:

- تميزت مدينتي وهران ومعسكر بموروثهما الثقافي والعلمي.

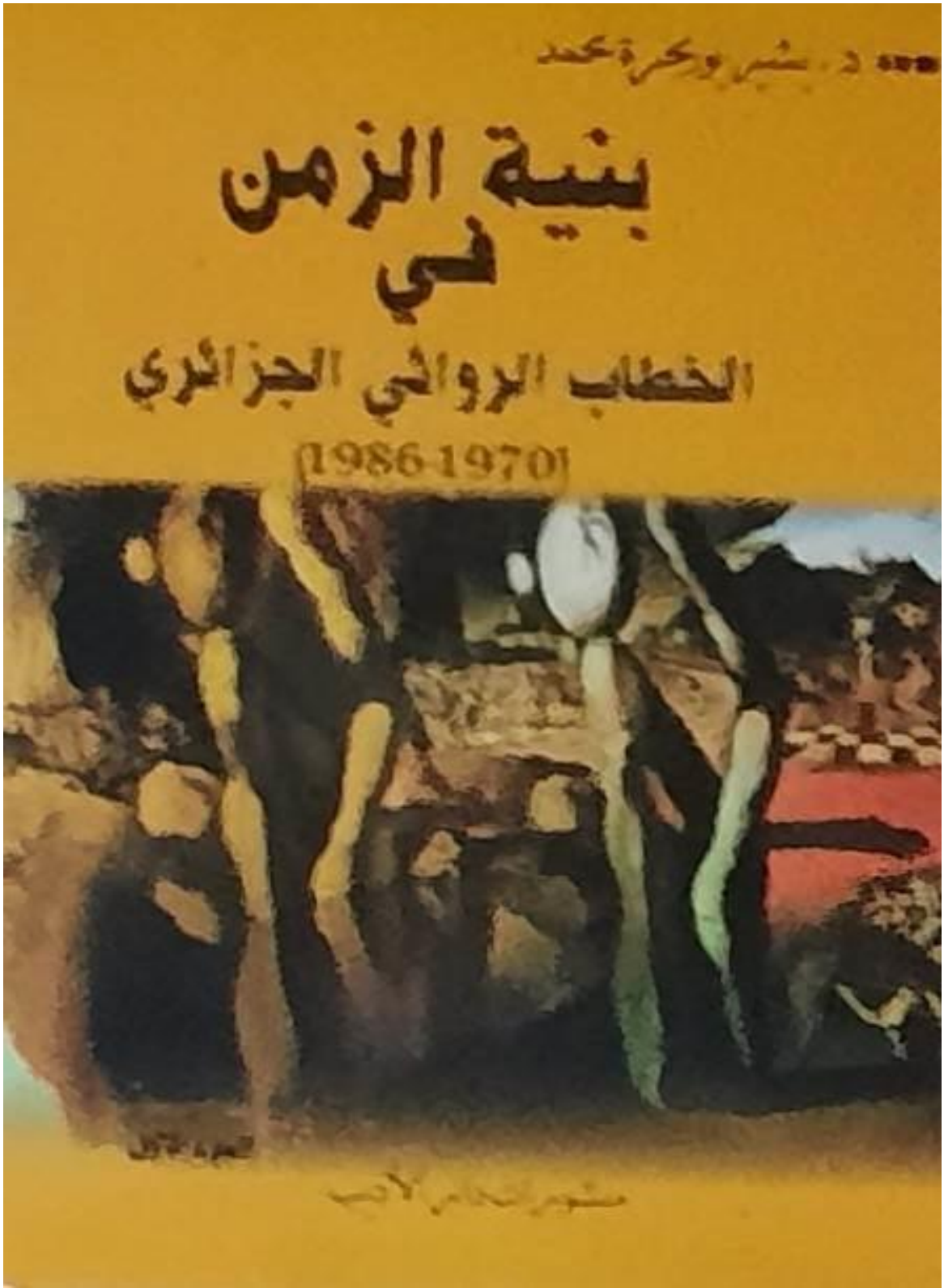
- كانت مدينة معسكر من أهم الحواضر الثقافية ومنارة إشعاع علمي وفكري ثقافي، احتضنت منشآتها العلمية من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب، عددا كبيرا من العلماء والطلبة الذين ساهموا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية أمثال أبو راس الناصري الذي يعتبر موسوعة علمية قائمة بذاتها، ومن هذه الحاضرة العريقة ظهر الكاتب والأديب محمد بشير بويجرة.

- تميزت حاضرة وهران بموروثها الثقافي العلمي والفكري والذي يؤكد ذلك العلماء الكبار الذين احتضنتهم هذه المدينة والعلماء الذين رحلوا إليها والتقوا بعلمائها وزودوا طلبتها بما حصلوا، عليه من علوم شتى أمثال إبراهيم التازي.

- أنجبت الجزائر العديد من الأعلام والعلماء والأدباء ومنهم محمد بشير بويجرة الذي ينحدر من ولاية معسكر، وهو الكاتب الذي اشتهر بنشاطاته العلمية وغزارة مؤلفاته المتنوعة.

الملاحق

.


د. بشير بكرة محمد
بنية الزمن
في
الخطاب الروائي الجزائري
(1970-1986)

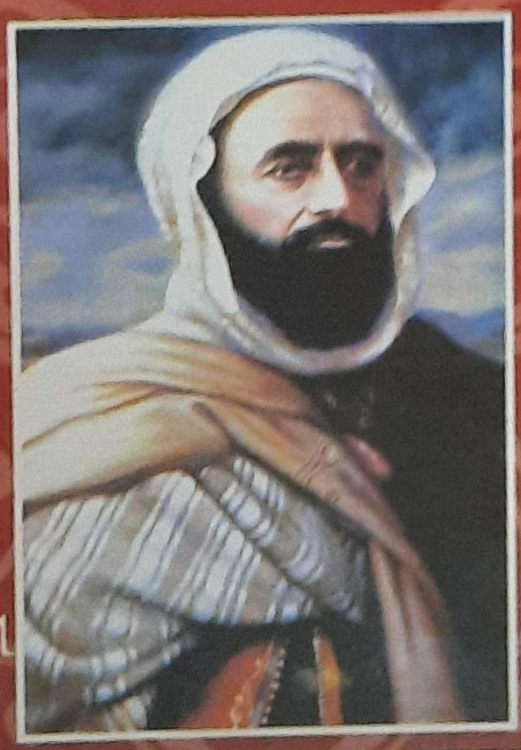
محنة التأويل
زخم المرجع وفتنة الوقع

قراءة في إبستيما الصحراء ظل المدينة



الأمير عبد القادر

رائد الشعر العربي الحديث



الطبعة الثالثة

د. محمد بشير بويجرة

المصادر والمراجع

المصادررئيسية

محمد بشير بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970 - 1986) الجزء الأول .منشورات دار الأديب (حي باهي أعمر السانيا وهران) 2008 ص

محمد بشير بويجرة . محنة التأويل ′ زخم المرجع وفتنة الواقع قراءة في أوديسا الصحراء (تلك المحبة).منشورات دار القدس العربي 2010

محمد بشير بويجرة . محنة التأويل ′ زخم المرجع وفتنة الواقع قراءة في أوديسا الصحراء (تلك المحبة).منشورات دار القدس العربي 2010

محمد بشير بويجرة ′ الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث ′منشورات دار القدس العربي ′الطبة 3 ′2009.

محمد بشير بويجرة، مداخلة بعنوان: جبهة التحرير، عرش عقيدة، الهوية الوطنية، المقاومة، أيعنت فأبهرت، يوم دراسي بعنوان الذكرى 66 لاستشهاد البطل علي شريف شريط،

المصادرثانوية

ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1992

بن داهة عدة، معسكر قبل التاريخ، دار الخلدونية ط 1، 2005.

بوجلال قدور، المنشآت التعليمة بمعسكر في عند الباب محمد بن عثمان الكبير، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر.

بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة النسر والتوزيع طبعة خاصة 2007

الجزائري محمد أبو راس، فتح الله وممتع في التحدث بقضا ربي ونعمته تح، محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب

سعيدون ناصرالدين والشيخ بوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ في العهد. العثماني، المؤسسة الوطنية الكتاب الجزائر، الجزائر 1984.

مقالات

البشير غنية مدينة وهران النشأة والتطور والدور في العصر الوسيط، م مجلة المعارف للبحوث العلمية والدراسات، المجلد 7، العدد 2 أكتوبر 2021

بن عربة محمد التسوق والصوفية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني صوفية وهران وأحوازها نموذجا .المجلة الجزائرية للمخطوطات عدد خاص جوانب 2011

جرائد

برياح زهرة ؛ الجزائر كانت وما زالت فاعلا أساسيا في صناعة الفعل الثقافي والحضاري , جريدة الجمهورية, 29 /2013/04.

فاطمة طاهي , الأدب والتاريخ مبخوتا القيمة في الجزائر لتغلغل البعد المادي ,جريدة البصاير

رسائل جامعية

بلخير نسرين، دراسة كتاب بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1986/1970م للدكتور محمد بشير بويجرة، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص نقد الحديث والمعاصر. جامعة معسكر 2021/2020.

بن العيفاوي علي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف مريم صغير، جامعة الجزائر 2009/2008

بن شاعة مالية، الحواضر الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني معسكر كنموذج، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي إشراف الشافعي درويش جامعة غرداية 2020/2019

بن نعوم صلاح الدين، القضاء في معسكر في العهد العثماني، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ وحضارة إسلامية، إشراف عبد المجيد بن معينة جامعة، جامعة وهران، 2017/2016.

بوتشيشة علي، مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين، قسم العلوم الاجتماعية، العدد 19، جانفي 2018

بونقاب مختار، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال ق 18 – 19، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف مكحلي محمد جامعة سيدي بلعباس . 2015 /2016

جاكر لحسن، الحركة الوطنية في معسكر 1930 - 1954، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر إشراف فغرور دحو جامعة وهران 2008ز2009.

حملاوي سهير، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري 1832، 1847، مذكرة ماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة بسكرة 2014، _2015 .

حملاوي سهير، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري 1832، 1847، مذكرة ماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة بسكرة 2014، _2015 .

العربي محمد الأوضاع الاجتماعية والثقافية في عنابة وهران 1945 - 1962، أطروحة دكتوراه، تاريخ حيث ومعاصر، إشراف محمد مجاود جامعة 2014 – 2015.